لُـــغَـــةُ

أُمِّ المؤمنينَ السَّيِّدَةِ عَائشةَ

في

الدَّرسِ اللُّغَوِيِّ

تأليف

أ.د. رياض بن حسن الخوّام

جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية

ح دار الطرفين للنشر والتوزيع ، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخوام ، رياض حسن

لغة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الدرس اللغوي.

رياض الخوام – الطائف ، ١٤٣٣هـ

ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك : ٥ ـ ٤ ـ ٩٠٢٣٨ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١- عائشة ام المؤمنين ،عائشة بنت ابي بكر الصديق ، ت ٥٨هـ

`

٢- اللغة العربية ـ النحو أ.العنوان.

ديوي ٢٣٩,٧ ٤٠٥٢ / ١٤٣٣

رقم الإيداع : ٤٠٥٢ / ١٤٣٣

ردمك : ٥ ـ ٤ ـ ٩٠٢٣٨ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨





الطائف ـ وادي وج ـ جنوب جسر خالد بن الوليد

جوال : ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨ ـ ٠٥٠٣٥١٢٤٩٩

www.tarafen.com

tarafen@maktoob.com

`

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

فما أظن أن في تاريخنا امرأةً تبوأت منزلةً علميةً سامقةً كأم المؤمنين السيدةِ عائشةَ لـلأنها خُلِقَتْ لتكون كذلك ، لقد تحققتْ فيها شروطُ التميز والإبداع ، فالذكاء وقَّادٌ لماحٌ ، والذهن وضَّاء قداحٌ ، واللسان سؤولٌ ، والقلبُ عقولٌ ، ناهيك عن الحياة العلميةِ الثرةِ المعطاءةِ التي نشأت فيها وترعرت في رحابها .

فمما لا شك فيه أن عصرَ الرسول ق وصحابته هو منبعُ العلومِ ومنهلُ الفنونِ ، فهو الأمرعُ علمًا والأكثرُ نضجًا والأعلى فصاحةً والأكثر تعددًا وتنوعًا أيضًا ، فبرزتْ في سماء العلوم عاليةً مشرقةً، يشُعُّ ضياؤُها وتنتشرُ أنوارُها في ميادين الحضارة الإسلامية ، فلا تجد فرعًا من فروع حضارتنا الإسلامية ليس لها فيه نصيبٌ - رضي الله عنها وأرضاها - .

---

(١)هذا الكتاب في الأصل محاضرة ألقيت في نادي مكة الثقافي الأدبي بمكة المكرمة سنة ١٤٣١هـ

لقد تحدثَ عن جهودها المتنوعةِ الكثيرُ من العلماءِ القدماء والمحدثين ، ولكني لم أجد أحدًا تناولَ آثارها في الدرس اللغوي، مع ظهورها وبروزها في مستوياتٍ متعددةٍ وأصنافٍ متنوعةٍ ، فعزمتُ على إبراز هذا الجانب وبيانه في هذه الرسالة الموجزة ، وإني لعلى يقين بأن ما أُقدمه هو قطرةٌ من بحور علومها المتعددة وكلمةٌ من سطرٍ في أسفارها المتنوعة ، آملا أن أكشفَ في هذا العملِ الموجَزِ معالمَ من جهودها اللغوية المتألقة الناصعة، وآثارها على الدرس اللغوي العربي ، والله هو الموفق والهادي إلى الصواب.

`

المبحث الأول

أم المؤمنين السيدة عائشة ل

(نسبها - نشأتها - تكوينها العلمي - ثناء العلماء عليها)

هي السيدةُ عائشةُ ل بنتُ الإمامِ الصِّدِّيق الأكبر خليفةِ رسولِ الله ق أبي بكرٍ عبدِ الله بن أبي قُحافةَ ا القرشيةُ التيميةُ المكيةُ النبويةُ أمُّ المؤمنين ، زوجةُ النبي ق ، وأُمُّها هي أم رومان بنتُ عامرٍ الكنانيةُ .

هاجرتِ السيدةُ عائشةُ ل إلى المدينة وتزوَّجَها النبيُّ ق قبل مُهاجَرتِه ببضعة عشرَ شهرًا وقيل بعامين - ودخل بها في شوال سنة اثنتين بعد مُنصرَفهِ من غزوة بدرٍ وهي ابنةُ تسعٍ(١) ، وماتت سنةَ سبعٍ وخمسين هجريةً في أيامِ معاويةَ وقد قاربتِ السبعينَ (٢) .

تبوأتْ عند رسول الله ق المنزلةَ العاليةَ والمكانةَ الرفيعةَ ،وقد تضافرت النصوصُ الدالةُ على ذلك :

منها: ما ذكره صاحبُ المستدركِ بإسنادٍ صالحٍ - كما قال الذهبي

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣٥/٢ .

(٢) العقد الفريد ٣٠٥/٤ .

- عن أم سلمة أنها لما سمعتِ الصرخةَ على عائشة قالت :واللهِ لقد كانت أحبَّ الناسِ إلى رسولِ الله ق إلا أباها [١] .

ومنها : ما ذكره ابنُ عيينة عن موسى الجُهني عن أبي بكرِ بن حفصٍ عن عائشةَ: أن أبويها قالا للنبي ق : إنا نحبُّ أن تدعوَ لعائشةَ ونحن نَسمعُ فقال : « **اللهم اغفرْ لعائشةَ مغفرةً واجبةً ظاهرةً باطنةً** » [٢] . ويكفيها فخرًا أنها زوجةُ الرسولِ ق في الدنيا والآخرة ، قال يحيى بن سعيد الأُموي : حدثني أبو العنبسِ سعيدُ بنُ كثيرٍ عن أبيه قال :حدثتنا عائشةُ أن رسولَ الله ق ذكرَ فاطمةَ ، فتكلمتُ أنا، فقال:« **أَما ترضَيْنَ أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة ، قلت: بلى واللهِ** » [٣].

وقد كَّرمها الرسولُ ق حين صغّر اسمها، فقد رُوي أنه قال لها : يا عُويشُ (تصغير عائشة) ، كما صغَّر وصفها أيضًا بقوله لها : يا حُميراءُ ، تصغيرُ الحمراء والمراد بها البيضاءُ ، وفي الحديث « **خذوا شطرَ دينكم من الحُمَيْراءِ** » كما رخَّم اسمها أيضًا

---

(١)سير أعلام النبلاء ١٩١/٢ ، والصرخة : الصوت الحادث عند نزع الروح .

(٢)سير أعلام النبلاء ١٩٩/٢ . لم نقم بتخريج الأحاديث لأن محققي الكتب التي نقلنا منها الأحاديث قاموا بتخريجها وتوثيقها على الغالب .

(٣)سير أعلام النبلاء ١٩٩/٢.

`

بقوله : يا عايشُ ، وكلُّ ذلك يدل على تلك المكانةِ التي كانت لها عند الرسول ق مما كان يدفعه إلى ملاطفتها بالتصرفِ بأَسمائها وأَوصافها ل ، ولا ننسى حديثَ الرسولِ المشهور الذي يبين فضلها على غيرها ،وهو قوله ق «**فَضْلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثّريد على سائرِ الطعامِ** » [1].

---

(١)فقه اللغة ٣٨٢ قال الثعالبي : « ومنها تصغير إكرام ورحمة كقولهم: يا بُنَيّ ويا أُخَيّ ، وكقول النبي ق « **يا حميراء** » ، وانظر الإجابة ٣٨ ـ ٦٤ ، قال ابن منظور في اللسان في مادة (حَمِرَ) مشيرًا إلى أن معنى حمراء هو بيضاء ما نصه « والعرب تقول : امرأة حمراء أي بيضاء ، وسئل ثعلب : لِمَ خص الأحمر دون الأبيض ؟ فقال : لأن العرب لا تقول : رجل أبيض من بياض اللون ، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب ، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا : أحمر ، ونقل عن الجوهري قوله : والعرب إذا قالوا : فلان أبيض وفلان بيضاء ، فمعناه الكرم في الأخلاق لا لون الخلقة ، وإذا قالوا : فلان أحمر وفلان حمراء، عنوا بياض اللون » ، والظاهر أن عائلة أبي بكر كانت كذلك ، فقد ذكر صاحب اللسان أيضا في مادة (عتق) أن أبا بكر سمي عتيقا لجماله .

`

تكوينها العلمي وثناء العلماء عليها

لا شك أنها أفادتْ من الرسول ق علومَها وتأثرتْ بفصاحته ق ، ثم لا شك أيضًا أن سليقتَها اللغويةَ الراقيةَ ولغتَها الفصيحةَ العاليةَ تمثل الصدى العام لجو العربية في عصر الرسولِ ق ، فهو أفصحُ من نطق بالضاد ، وهو الذي أُوتي جَوَامِعَ الكلِمِ ، بل هو الذي حَفِظ لغةَ إسماعيل كلها ، قال عمُر بنُ الخطاب ا : يا رسولَ الله ما لك أَفصحُنا ولم تخرج من بين أَظْهُرِنا ؟ قال :« **كانت لغةُ إسماعيلَ قد دَرَسَتْ فجاءني بها جبريلُ فحفَّظَنِيها**»[١].وقال أبو بكرٍا:يا رسولَ الله لقد طفتُ في العربِ وسمعتُ فصحاءهم فما سمعت أفصحَ منك ، قال : **أدبني ربي ونشأت في بني سعد** [٢] . وعن عليٍّ ا قال : قلنا: يا نبيَّ الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلدٍ واحدٍ وإنك تكلم العربَ بلسانٍ ما نفهم أَكثَرَه، فقال:**إنَّ الله لأ أدبني فأحسنَ تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر** [٣] .

وقد بين الطيبي فصاحة الرسول ق بقول جامع فقال: إن « الإطنابَ والإيجازَ والحذفَ والإضمارَ والتقديمَ والتأخيرَ

---

(١) روح المعاني ١٢ / ١٧٤ والأنوار المحمدية ٢٠١ ، وقال بعدها : رواه أبو نعيم .

(٢)روح المعاني ١٢ / ١٧٤ والأنوار المحمدية ٢٠١ .

(٣) الأنوار المحمدية ٢٠١ .

والحصرَ وعدمه لا سيما توسيط العاطف بين الجمل وعراها عنه ، وطريقَ المجازات والكنايات والتشبيهات ، والتحسينَ الراجع إلى اللفظ والمعنى، بابٌ ذو ذيول ، وكلامٌ ذو أطراف قلَّما يقف عليه إلا المهرة من علماء البيان ، وكان رسول الله ق أفصحِ من نطق بالضاد ، وأُوتي جوامعَ الكلم ، وكلامُه مصبوبٌ في هذه الأساليب، ومسبوكٌ في هذه الأقاليب »[١] .

فهذا كله يدل على أن ينابيع الثقافة اللغويةِ التي نَهِلَتْ منها عائشةُ كانت موَّارةً عَذْبةً فياضةً ، فمنبعها الأول هو القرآن الكريم وهو الأفصح لغة ، والأرقى بلاغة ، والأعلى أسلوبا في كل ما عرفه أصحاب العربية، يليه لغة الرسول ق التي بينا بعضًا من وصفها العالي ، ويلي ذلك الجو العام للعربية ، فعصر صدر الإسلام هو عصر الفصاحة والنقاء اللغوي الراقي.

إذن نشأت في هذا الجّو الثقافي النقي ، وترعرعت في محاريب اللغة العربية ، ومساجيد الأساليب الراقية « فروت - كما قال الذهبيُّ - عن الرسول ق علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، وعن أبيها وعن عمَرَ وفاطمة وسعدٍ وحمزةَ بن عمرو الأَسلمي وجُذامةَ بنتِ وهب »[٢]، ووُصِفَتْ ل بالصَّادقة وبالصِّدِّيقةِ [١] .

---

(١)شرح المصابيح للطيبي ٣٣٨/١ .

(٢)سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢ .

يضـاف إلــى ذلـك أنهـا خُلِقَـتْ كمـا ذكرنـا بمَلَكـاتٍ متميـزةٍ فاستطاعت بها أن تَبْرعَ في عددٍ من العلوم وتُبَرِّزَ في كثيرٍ من الفنون ، وتترقى إلى قِمَمِ المعارفِ ، حتى وصفَها بعضُهم « بأنها رَجُلَةُ الرأي ، أي رأيُها رأيُ الرجالِ » [٢] . وفي رواية أخرى عن السيرافي بأنها رَجُلةُ العربِ قال : إنها والله لكذلك ، ولقد سمعتُ من يقولُ : كان يقال : لو كان لأبيها ذكَرٌ مثلُها لما خرجَ الأمرُ منه [٣]. وكـان لهـا ـ كمـا قـال أبـو حيـان التوحيـدي ـ كـلامٌ كثيـرٌ فـي الشريعة ، والروايةُ عنها شائعةُالأحكامِ [٤]. وصارت ل أفقهَ نساءِ الأمةِ على الإطلاق كما قال الذهبي [٥] ، وأحسن الناس رأيًا كما قال عطاء [٦]، ولو جُمعَ علمُ الناسِ كلِّهم وأمهاتِ المؤمنين لكانت عائشــةُ أوسـعَهم علمًـا كمـا قــال الزهـري [٧]، وحُمِـلَ عنهـا رُبْـعُ الشـريعةِ كما قال الحـاكم أبـو عبد الله ، ولـيس عنـا ببعيدٍ الحـديثُ

---

(١)مجالس ثعلب ٤٥٢/١ ، والقاموس المحيط مادة (روم) .

(٢)اللآلئ المنثورة ٩٣١/١ ، واللسان ، مادة : رجل .

(٣)الإمتاع والمؤانسة١٩٩/٣ .

(٤)الإمتاع والمؤانسة ١٩٩/٣ .

(٥)سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢ .

(٦)الإجابة ٥٦ .

(٧) سير أعلام النبلاء ١٩٩/٢ .

`

المشهورُ: **خذوا نصفَ دينكم من الحميراء** [١].

وأقوالُ الصحابة - رضوانُ الله عليهم والتابعين - والعلماء الثقّاتِ في الثناء عليها كثيرة جدًا منها ما قاله أبو موسى الأشعري ا: ما أشكلَ علينا أصحابَ رسولِ الله ق حديثٌ قط فسألنا عائشةَ إلا وجدنا عندها منه علمًا ، وقال مسروقٌ:رأيت مشيخةَ أصحاب محمد ق يسألونها عن الفرائضِ [٢] .

وقال أبو حفصٍ : روينا بسندنا عن بقيّ بنِ مَخْلدٍ أن عائشةَ روتْ ألفينِ ومئتي حديثٍ وعشرةَ أحاديثَ ، والذين رَووا الألوفَ عن رسول الله ق أربعة : أبو هريرةَ وعبدُ الله بن عمر وأنسُ بن مالكٍ وعائشةُ ي [٣] .

وقد اشتمل كتابُ البخاري ومسلم على ألف حديث ومئتي حديث من الأحكام، روت عائشة من جملة الكتابين مئتين ونيفًا وتسعينَ حديثًا لم يخرجْ من الأحكام منها إلا يسير - كما قال

---

(١) الإجابة ٥٨ ، وشذرات الذهب ١١١/١.

(٢) الإجابة ٥٨ - ٥٩ ، وشذرات الذهب ١١١/١ .

(٣)الإجابة ٥٩ ، وشذرات الذهب ١١١/١ .

الميانشي فيما نقله عنه الزركشي ـ [1] .

(١) الإجابة ٥٩ .

`

وقال فيها عروةُ بنُ الزبير : ما جالستُ أحدًا قط أعلمَ بقضاءٍ ولا بحديثٍ في الجاهليةِ ، ولا أَروى في الشعر ، ولا أعلَم بفريضةٍ ولا طِبٍّ

من عائشةَ ل [١] ، وأكد ذلك الزركشيُّ فيما نقله عن أبي عمرَ بن عبد البرِّ / قال : إنها كانت وحيدةَ عصرها في ثلاثةِ علومٍ : علمِ الفقه ، وعلمِ الطب ، وعلمِ الشعر [٢] .

وبين عروةُ بنُ الزبير مصادرَ علومها بقوله : « قلت لعائشةَ : إني لأتفكَّرُ في أمرك فأَعجبُ ، أَجِدُكِ من أفقهِ الناس ، فقلتُ : ما يمنعُها ؟ زوجةُ رسولِ الله ق وابنةُ أبي بكر، وأَجِدُكِ عالمةً بأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، فقلتُ : وما يمنعُها؟ وأبوها علامةُ قريشٍ ؟ ولكن إنما أَعجبُ أَنْ وجدتُكِ عالمةً بالطب فمن أَينَ ؟ فأخذتْ بيدي وقالت : يا عُريّةُ، إن رسولَ الله ق كَثُرَ من أَسقامه ، فكان أطباءُ العرب والعجم ينعتون فتعلمتُ ذلك » [٣] .

---

(١) شذرات الذهب ١١١/١ .

(٢) الإجابة ، ٥٦ .

(٣) الإجابة ٥٦ ـ ٥٧ .

`

والناظرُ في سيرتها العلمية يلحظ أنها كانت تسألُ الرسولَ ق ، والعلم كما قالوا يلزمه قلبٌ عقولٌ ولسان سؤولٌ ، لقد ذكر النحاسُ حين عرَضَ تفسيرَ قوله تعالى :

(ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) [1]ما يدلُّ على أنها ل كانت تسأل النبيَّ ق، فقد سألته ق عن قول الله لأ يومَ تُبدّلُ ... قائلة: فأين يكون الناسُ يومئذ يا رسولَ الله ؟ قال : على الصراط [2]. والأمثلة على كثرة أسئلتها للنبي ق امتلأت بها كتب العلوم الشرعية والتفسير.

ومما سبق كله يبدو لنا أن مناهلَ المعرفة عند السيدة عائشةَ ل كانت من أعذب المناهل ، فهي تعيش منذُ ولدتْ في حديقة غناء أشجارها باسقةٌ ، وثمارها يانعةٌ ، وطعومها متنوعة ، أضيفَ إليها تلك القدراتُ العقليةُ المتميزةُ، فأثمرَ ذلك كلُّه علومًا متعددةً تتصل بكل العلومِ الشرعية واللغويةِ .

والذي يعنينا منها الآن هي تلك الثمراتُ التي قدمتها أُمّ المؤمنين إلى الدرس اللغوي وهو ما سنقدمه ونوضحه فيما يأتي .

❀❀❀

---

(١) إبراهيم ٤٨ .

(٢) المعاني ٣/٥٤٥ .

`

المبحث الثاني
أم المؤمنين والشعر

ذكرنا من قبل أن السيدةَ عائشةَ - رضي الله عنها وأرضاها - عاشتْ في جَوٍّ أدبي عال، ونَهِلَتْ من معين ثقافي راق ، فانعكس ذلك على شخصيتها العلمية ، وأثمرَ ثمراتٍ في عددٍ من العلوم والفنون ، ولقد كان الشعر أبرزَ المظاهر الاجتماعية التي يعيشُ فيها القوم لذا اهتمت ل به وحَرصَتْ على روايته ، قال ابن رشيق مشـــــــــــــيرًا إلــــــــــــــــى ذلـــــــــــــــك :

« وكانت عائشةُ ل كثيرةَ الروايةِ للشعر ، يقال : إنها كانت تروي شعرَ لبيدٍ » ونقل عنها أنها قالت : إني لأروي ألفَ بيتٍ له ، وإنه أقلُّ ما أروي لغيره [١] .

والظاهر أن حبَّ الرسولِ ق لقولِ لبيدٍ [٢] :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ   وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

(١) العمدة ٣٠/١ ، والعقد الفريد ٥/٢٥٩ .

(٢) انظر شرح التصريح للأزهري ، ٢٨/١ ، وشرح الأشموني ، ٢٨/١ ، وحاشية الشيخ ياسين على مجيب النداء ١١/١ .

`

دفعها إلى حفظ شعرهِ وروايتهِ معجبةً به ، فقد نقلَ هشامُ بنُ عروةَ عن أبيه عن عائشةَ أنها قالت : رحِمَ الله لبيدًا كان يقول :

ذهبَ الذينَ يُعاشُ في أكفانهم   وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجْرَبِ

فكيف لو أبصرَ زمانَنا هذا ؟ قال عروةُ : ونحن نقول : رحم الله عائشةَ ، فكيف لو أدركت زماننا هذا ؟ [١] .

وذكر هذا الخبرَ صاحبُ بهجةِ المجالس وزاد « بلغَ ابنُ عباسٍ قولَ عائشة : رحم الله لبيدًا كيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابنُ عباس: رَحِمَ اللهُ لبيدًا ورَحِمَ عائشةَ ، لقد أصبتُ باليمن سهمًا في خزائنِ عادٍ كأطولِ ما يكون من رِماحكم هذه ، مُريّش مفوق مكتوب عليه :

فهلْ لي إلى أجبالِ هندٍ بذي اللِّوى   لِوى الرملِ من قبلِ المماتِ معادُ

بلادٌ بها كنا ونحنُ نحبُّها   إذِ الناسُ ناسٌ والبلادُ بلادُ [٢]

---

(١)كتاب الأمثال لأبي عبيد ٢٧٦ والعقد الفريد ٣٣٠/٢ ، ونحن نقول : رحم الله عروة ورحم الله عائشة كيف لو أدركا زماننا هذا ؟!

(٢)بهجة المجالس لابن عبد البر ٧٩٨/١ .

`

وقد كَثُرَتِ الرواياتُ المؤكدةُ على كثرة حفظها للأشعار ، من ذلك ما ذكره صاحبُ بهجةِ المجالسِ عن أبي الزنادِ قولهُ : « ما رأيت أحدًا أَروى للشعرِ من عُروةَ بنِ الزبير ، فقيل له: ما أَرواك للشعرِ ؟ قال : وما روايتي من روايةِ عائشةَ له ، ما كان ينزلُ بها شـــــــــــــــيءٌ إلا أنشــــــــــــــــــــدتْ

فيه شعرًا » [١] .

ومن ذلك ما ذكره ابن حجر في فتح الباري من قولها : « ولقد رويتُ من شعرِ كعب بن مالك أشعارًا منها القصيدةُ فيها أربعون بيتًا » [٢] .

وكان الرسولُ ق يسمع منها الشعرَ الراقي ، ذكرَ صاحب العقد الفريد قصةَ إنشادها لأبياتِ زهير بن جناب في حضرة الرسول ق قال: « وسمع النبيُّ ق عائشةَ ل تنشدُ أبياتَ زهير بنِ جَنابٍ :

ارفَعْ ضعيفَكَ لا يَحرْ بك ضَعْفَه   يومًا فتُدركَه عواقبُ ما جَنى

---

(١)بهجة المجالس ٣٧/١ .

(٢)فتح الباري ٥٣٩/١٠ .

`

يَجزيك أو يُثني عليك فإنّ مَنْ أثنــى عليـك بمــا فعلــتَ كمَــنْ جَـــــــــــــــــزَى

قال النبيُّ- عليه الصلاة والسلام-:«**صدقَ يا عائشةُ لا يشكرُ اللهَ مَنْ لا يشكرُ الناسَ**» (١)

وقد امتلأت كتبُ الأدبِ بذكر القِصَصِ الدالةِ على قدرتها ل على روايةِ قصصٍ مليئةٍ بالشعرِ ، من ذلك ما ذكره صاحبُ العقِد الفريد أن الرسولَ ق لمَّا هاجرَ إلى المدينة ومعه أصحابه « مسَّهم وباءُ المدينة ، فمرِضَ أبو بكرٍ وبلالٌ ، قالت عائشةُ : فدخلتُ عليهما فقلت: يا أبتِ كيف تَجِدُكَ ؟ ويا بلال كيفَ تَجِدُكَ ؟ قالت : فكان أبو بكرٍ إذا أخذته الحُمَّى يقولُ :

كلُّ امرئ مُصبَّحٌ في أهلهِ والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلهِ

قالت : وكان بلالٌ إذا أقلعتْ - أي الحمى - عنه يرفَعُ عقيرتَهُ ويقولُ :

ألا ليتَ شعري هل أبيتنّ ليلةً بوادٍ وحولي إذْخِرٌ وجليلُ
وهل أرِدَنْ يومًا مياه مَجنَّةٍ وهل يبدُوَنْ لي شَامَةَ وطَفِيلُ

قال عائشةُ : وكان عامرُ بنُ فُهيرةَ يقول :

---

(١) العقد الفريد ٢٩٩/١ ، وذكر هذا الشعر أيضا في ٢٥٩/٥ ، وفي بهجة المجالس ٣١٠/١ أسماء عدد من الشعراء الذين نسب إليهم هذان البيتان.

`

وقد رأيتُ الموتَ قبل ذَوْقه   إن الجبانَ حتفَه من فَوقه
كالثَّورِ يحمي جِلدَه برَوْقه

قالت عائشة : فجئتُ رسولَ الله ق فأخبرته فقال : « **اللهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحبنا مكةَ وأشدَّ، وصَحّحها وبارِكْ لنا في صَاعها ومُدِّها وانقلْ حِماها فاجعلْها بالجُحفة** » [1] .

وقد وظفتْ ما تحفظه من الأشعار الراقيةِ ذاتِ المضامين الأخلاقيةِ العاليةِ والحكم البديعة توظيفًا يدل على ذكائها المتميز ، فكانت تتمثلُ به في بعض المقامات والمحافل الداعية لذلك ، لَقد ذكر المبرد أنها تمثلتْ عندَ قبرِ عبد الرحمن بن أبي بكر بقول متمم بنِ نُويرة :

وكنا كندّمانَي جَذيمةَ حِقبةَ   من الدهرِ حتى قيلَ لن نتصدّعَا
وعشنا بخيرٍ في الحياةِ وقَبْلَنا   أصابَ المنايا رَهْطَ كسرى وتُبّعا
فلمَّا تفرقنا كأني ومالكًا   لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةَ معا[2]

وأكد هذه الروايةَ الزجاجيُّ في أماليه وفصَّلها قائلًا : روتِ الرُّواةُ أنه لما توفي عبدُ الرحمنِ بن أبي بكر الصِّدِّيقِ ب ولم

---

(١)العقد الفريد ٢٦٦/٥.

(٢)الكامل ٢٤٩/٤ .

تحضره عائشةُ ، زارتْ قبره ثم قالتْ : يا أخي إني لو حضرتُ وفاتكَ ما زرتُ قبركَ ، وأنشأتْ تقول متمثلةً البيتين السابقين (الأول والثالث من الأبيات الثلاثة التي ذكرها المبرد) ، وأضافَ الزجاجيُّ ما يفيدُ ويؤكد كثرةَ حفظها للشعر وَتمُّثِلها به في المواقف المقتضية له كما ذكرنا ، قال الزجاجيُّ : ثم إنها حضرتْ أبا بكر / وهو يجودُ بنفسه ، فقالت : هذا واللهِ كما قال حاتم :

أماويَّ ما يُغني الثراءُ عن الفتى　　إذا حشرجَتْ يومًا وضاقَ بها الصَّدْرُ

فقال لها أبو بكر : يا بُنيّةُ لا تقولي هذا ، ولكن قولي : (**وجاءتْ سكرةُ الحقِّ بالموتِ**)[١]

ثم قال الزجاجي : « وهكذا كان يقرؤها أبو بكر / » [٢] ، وتمثُلها ببيت حاتم هذا قد يفيد أنها كانت تحفظُ شعرَ حاتم الطائي أيضًا أو هذه القصيدة المشهورة . نزعم ذلك استئناسا بقولها : إني لَأَروي ألفَ بيتٍ له – أي للبيد – وإنه أقل ما أروي لغيره، وقد ذكرنا ذلك من قبلُ .

وإذا كان الشعر يتضمن ما يمكنُ أن يُعلَّق عليه فكانت بذكائها

---

(١)ق ١٩ ، وقراءة الجمهور: « ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ » .

(٢)أمالي الزجاجي ٩١ ـ ٩٢،وانظر الخبر في العقد الفريد ٢٤٦/٤ ،وبهجة المجالس ٣٦٨/٢ .

`

اللماح تُعلّقُ بعد سماعها الشعرَ داعيـة إلـى التوبـة إلـى الله والإنابـةِ إليه ، من ذلك ما ذكره صاحبُ العقدِ الفريدِ قال : ذكرَ رجل من أهل المدينـة أن ابـنَ أبـي عتيـق - وهو عبدُ الله بـنُ محمد بنِ عبد الرحمن بنِ أبي بكر الصديق - دخلَ على عائشةَ أمِّ المؤمنين وهـي عمته فوضـعَ رأسـه فـي جحرهـا أو علـى ركبتهـا ، ثـم رفـعَ عقيرَتَـه يتغنَّـى :

وَمقَيّدٍ حَجِلٍ جَررتُ برجلـهِ بَعْدَ الهدوءِ له قوائمُ أربعُ

فاطلبْ زمانَ اللهوِ من زمنِ الصِّبَا وانـزِعْ إذا قالوا أما لك مَنْزَعُ

فليأيتنَّ عـليك يومًا مَرةً يبكَـى عـليـك مُقنّعًا لا تَسَـمَعُ

قالت له عائشةُ : يا بُنَيَّ فاتقِ ذلك اليومَ (١) .

ولـم يكـن شـعرُ حسانَ بنِ ثابتٍ عنهـا ببعيدٍ ، وقصـةُ دخولـه عليهـا معروفةٌ ، فقد دخلَ عليها وأنشدها :

حَصانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبـةٍ وتصبحُ غَرْثَـى من لحـومِ الغوافلِ

فقالت له : لكنك لستَ كذلك ، وكان حسانُ من الذين جاؤوا بالإفك (٢) .

---

(١)العقد الفريد ٢٣/٦.

(٢)العقد الفريد ٤٥/٤ ، وانظر الخبر في فتح الباري ٥٤٤/٧ .

`

فلله درُّها على سرعةِ بديهتها ورزانةِ جوابها حين قالت لـه : (لكنك لستَ كذلك)، فهي جملةٌ واحدةٌ تختزنُ عواطفَها وعقلَها وحياتَها ولغَتَها ، وتُظهِرُ شمائلَها الرفيعَة وخصالَها الحميدةَ حين دافعتْ عنه متناسيةً خوضه في حديث الإفك ، فقد أخرجَ ابنُ سعدٍ عن محمدِ بنِ سيرين أن عائشةَ ل كانت تأذن لحسانَ وتدعو لـه بالوِسادةِ وتقول: لا تُؤذوا حسانًا فإنه كان يَنْصُرُ رسولَ الله ق بلسانهِ. [1] ، ومما يؤكد ذلك أنها كانتْ تتمثَّلُ بأشعاره أيضًا ، قال الأَزرقي : حدثنا أبو الوليد قال : حدثني جدي قال : حدثنا سفيانُ بنُ عُيينة عن محمد بنِ السائب عن أمه أنها طافتْ مع عائشةَ ثلاثةَ أَسْبُعٍ فلم تفصلْ بينها بصلاةٍ ، فلما فرغَتْ ركعتْ ستَّ ركَعاتٍ قالت : فذكَرَ لها نسوةٌ من قريشٍ حسانَ بنَ ثابتٍ وهي في الطواف فسبوه فقالت : أَليس قد ذهبَ بصرُهُ ؟ وهو القائل :

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه ... وعندَ الله في ذاكَ الجزاءُ

فإنَّ أبي ووالدَه وعِرضي ... لِعِرْضِ مُحمدٍ منكم وِقَاءُ

أتهجوهُ ولستَ لـه بكفءٍ ... فشرُّكُما لخيرِكما الفِداءُ

---

(١)روح المعاني ١١٤/١٨ ، والظاهر أنها كانت تصرف حسانًا بناء على أن أصله من الحسن وليس من الحس.

بكفءٍ (١)

وأثنت على شعر حسان بقولها : « ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان ، وما تمثلت له إلا رجوت له الجنة » (٢) رضي الله عنها وأرضاها ، ما أرق قلبها وما أنقى سريرتها .

ويستفاد مما ذكرته كتبُ اللغة والأدب أنها كانت تلتقي الشعراءَ وتحاورهم ، من ذلك ما ذكره صاحبُ العقدِ الفريد عن اجتماعها بالخنساءِ ونُصحِ السيدةِ عائشة لها ، قال: « دخلتْ خَنساءُ على عائشةَ أمِّ المؤمنين ل ، وعليها صِدارٌ من شَعْرٍ قد استشعرته إلى جِلدها ، فقالت لها: ما هذا يا خنساءُ ؟ فواللهِ لقد توفي رسولُ الله ق فما لبستهُ ، قالت : إن له معنىً دعاني إلى لباسه ، وذلك أن أبي زوجني سيدَ قومِهِ ، وكان رجلًا متلافًا ، فأسرفَ في ماله حتى أَنفدهُ ، ثم رجَع في مالي فأنفده أيضًا ، ثم التفت إليَّ وقال : إلى أين يا خنساءُ ؟ قلت : إلى أخي صخرٍ ، فأتيناه فقَسّم مالَه شَطْرين ، ثم خيرنا في أحسنِ الشَّطرينِ ، فرجعنا منْ عندهِ فلم يزلْ زوجي حتى أَذهبَ جميعَهُ ، ثم التفت إليَّ فقال لي : إلى أين يا خنساءُ ؟

---

(١) أخبار مكة ١٠/٢ .

(٢) وانظر روح المعاني ١١٤/١٨ فقد قال قبل ذكر الأبيات ما يأتي : أخرج ابن جرير عن طريق الشعبي عنها أنها قالت : ما سمعت بشيء أحسنَ من شعر حسان وما تمثلتُ به إلا رجوتُ له الجنة .

`

قلت : إلى أخي صخرٍ ، قلتُ : فرحلنا إليه ، ثم قسَّم مالَه شَطْرين وخيَّرنا في أفضلِ الشَّطرين ، فقالت له زوجته : أَما ترضَى أن تُشَاطِرَهم مالكَ حتى تُخَيِّرهم بين الشَّطرين ؟ فقال :

واللهِ لا أمنحُهَا شِرارَها فلو هَلَكْتُ قدَّدَتْ خِمَارَها
واتخذَتْ من شَعَرٍ صِدارَها وهي حصَانٌ قد كَفَتْني عارَها

فآليت ألا يُفارق الصِّدارُ جسدي ما بَقِيتُ [١]ومما يجدر ذكره - ويفيد أنها ل كانت تعيشُ في مناخِ الشعرِ وأَجواء الأدب - أنها نقلت عن النبي ق أنه لم يتمثل شعرًا إلا ببيت طَرَفةَ بنِ العبدِ ، قال قتادةُ : بلغني أن عائشةَ قالتْ : لم يتمثلِ النبيُّ ق بيتَ شعرٍ إلا بيتَ طَرَفةَ :

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزَوِّدِ

فقال : ويأتيك من لم تُزَوِّد بالأخبار .

فقال أبو بكر : ليس هو كذلك يا رسولَ الله ، فقال : إني لا أُحسنُ

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٦٦ .

الشعرَ ولا ينبغي لي[١].

وكانت ل تدرك قيمةَ الشعر ومكانَتهُ وأثرَهُ على ألسنة الناشئة وفصاحتهم ، قالت : رَوّوا أولادَكُم الشعرَ تَعذبْ ألسنتُهم [٢]. وهي حين تطلب تعليم الناشئة الشعر تقيده بالضابط الأخلاقي الراقي ، روي عنها قولها : « الشعر منه حسن ومنه قبيح ، خذ الحسن ودع القبيح» [٣]، ومضمون القولين الواردين عنها يفيدان كيف نربي الناشئة ، وننمي عندهم الجوانب التربوية الأخلاقية مع الفصاحة اللغوية الراقية . نعم لقد روتِ الأشعارَ، وتمثلتْ بها في المحافل ، فبدت لغتها فصيحةً ، وظهرت سليقتُها راقيةً ، وملكتها اللغوية ساميةً ، رقَّ طبعُها ل وسَمَتْ أخلاقُها،واجتمعت فيها الفضائلُ ، وتلاقتْ فيها المكارمُ التي اتصف بها العربُ ودونوها في أشعارهم وأخبارهم ، رضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) معاني القرآن ، للنحاس ٥/٥١٥ .

(٢) العقد الفريد ٥/٢٥٨ ـ ٩/٦ .

(٣) فتح الباري ١٠ / ٥٣٩ .

`

المبحث الثالث
آثارها في اللغة
خطبها

حَفلتْ كتبُ اللغة والمعاجم بإيراد خطب السيدة عائشة ل ،
فبدت مضامينُها هادفةً وتراكيبها بديعةً ظهرت في سياقاتٍ
راقيةٍ،تناسب المقاماتِ التي قِيلتْ فيها ، فمما وجدناه :

١ ـ خطبة في الدفاع عن أبيها أظهرت فيها مكانتَه وفضلَه بعد أن بلغها أن أناسًا يتناولونه ا فأرسلتْ إلى أَزفَلةٍ منهم ، فلما حضَروا سدلتْ أستارها ثم دنَتْ فحمِدتِ اللهَ تعالى وصلَّتْ على نبيه ق وعذَلَتْ وقَرَّعَتْ ثم قالت : « أَبي وما أَبيَهْ ! أَبي واللهِ لا تَعطوه الأيدي ، ذاك طَوْدٌ مُنيفٌ ، وظلٌّ مديدٌ ، نجحَ إذ أَكديتم ، وسبقَ إذ وَنَيتم سبق الجوادِ إذا استَولى على الأمد » [١] . والخطبة تقع في صفحتين تقريبًا ضمنتها فضائلَ أبيها وشمائلَه الحميدةِ، **وأخلاقَه** العاليةِ، بأسلوبٍ جزلٍ وتراكيبَ بديعةِ الصنعِ متينةِ التناسقِ .

٢ ، ٣ ـ أما الخطبتان (الثانية والثالثة) فهما مخصوصتان بمقتل سيدنا عثمان ا ذكر أبو حيان التوحيدي واحدةً منهما ، قال : « خرجتْ والناسُ مجتمعون وعليٌّ فيهم فقالت : أَقُتِلَ أميرُ المؤمنين عثمانُ ؟ قالوا : نعمْ ، قالت : أَما واللهِ لقد كنتم إلى تسديدِ الحق وتأكيده أحوجَ منكم إلى ما نهضتم إليه من طاعةِ من خالفَ عليه ..

---

(١)انظر الخطبة في منال الطالب ٥٦١ ، وأشار المحقق في الحاشية إلى أن أبا القاسم بكر محمد بن القاسم الأنباري شرح هذه الخطبة ونشر هذا الشرح بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عام ١٩٦٢م بمجلة المجمع العلمي بدمشق ، ثم نشره مستقلا ببيروت عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، وانظر تخريج هذه الخطبة في حاشية منال الطالب أيضًا .

وراحت تعدد شمائلَهُ وصفاته ونصرتَهُ للإسلام متأثرةً بمقتله ، وأنهتِ الخُطبةَ بالقول : تُبًّا لقاتله ، أَعاذنا اللهُ وإياكم من التلبسِ بدمهِ والرضا بقتلهِ » [1] ، وعلَّق الوزيرُ بعد سماع هذه الخطبة عليها قائلًا : « ما أفصحَ لسانَها وأشجعَ جَنانَها في ذلك المَحْفِلِ الذي يتبلبلُ فيه كلُّ قُلْقُلٍ » [2] .

- وذكر ابنُ الأثير الخُطبةَ الثالثَة التي قالتها بالبصرة بعد مقتل عثمان أيضًابدأتها بالقول : « إن لي حرمةَ الأمومةِ وحقَّ الصحبة ، لا يتّهمني منكم إلا مَنْ من عصى ربَّهُ ...» ، وراحت تذكرهم بما فضَّلها الله على غيرها ، فهي زوجةُ الرسولِ في الجنة ، والرسولُ قُبِضَ بين سَحْرِها ونَحْرِها وحَاقِنَتِهَا وذَاقِنَتِهَا .. وعرَّجتْ على ذكر أبيها ، فهو ثاني اثنين ورابعُ أربعة من المسلمين .. ثم طالبتهم بدمِ عثمانَ .. وأتتْ على كل ذلك بأسلوبٍ عالٍ وسياقاتٍ عجيبةٍ ، يستشعرُ المرءُ منها مدى رقيِّ لغتها وغزارةِ مفرداتها ، والخُطبةُ تقعُ في صفحةٍ واحدةٍ في كتاب منالِ

---

(١)الإمتاع والمؤانسة ٣/٢٠٠ .

(٢)الإمتاع والمؤانسة ٣/٢٠٠ . والوزير هو أبو عبد الله العارض الذي سامره أبو حيان التوحيدي سبعًا وثلاثين ليلة فكان من ذلك كتاب الإمتاع والمؤانسة.. والقلقل : الخفيف السريع، وصارت تطلق على الفصيح الذي لا يضطرب في خطبته ويبقى ثبتا فصيحا سريعا لا يتلكأ انظر: اللسان، قلل .

`

الطالب [١] ، وذكر ابنُ الأثير في نهايتها أَن الأحنَف بنَ قيسٍ أُخبر بما قالت عائشةُ ، فأنشأ أبياتًا منها :

فلو كانتِ الأكنانُ دونَكِ لم يجِدْ عَليكِ مقالًا ذو أذاةٍ يَقُولُها
وقفتِ بمُسَتنِّ السيولِ وَقلَّ مَنْ تَثَوَّى بها إلّا عَلاهُ بَليلُها
مَخَضْتِ سِقاءَيْ عَذْرةٍ وملامةٍ وكلتاهُما كادتْ تَغُولُكِ غَولُها (٢)

وأضاف ابن الأثير قائلًا « فلما بلغتها مقالتُه قالتْ : لقد استفرغَ حِلْمَ الأحنفِ هجاؤه إيايَ ، أَلِيَ كان يَستجمُّ مثابةَ سفَهِهِ ؟ إلى الله أشكو عُقوقَ أبنائي ، ثم أنشأت تقول:

بُنَيّ اتّعظْ إن المواعِظَ ويُوشِكُ أن تكْتانَ وَعْرًا

---

(١)انظر الخطبة في منال الطالب ٥٧٤ ، وذكرها صاحب العقد الفريد ١٢٢/٤ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظها . **والسَّحر:** الرئة ، والمراد بها الموضع المحاذي لرئتها . **النحر :** الحلق ، لأنه موضع النحر . **الحاقنة :** النُّقرة التي بين الترقوتين. **الذاقنة :** طرف الحلقوم . تريد أنه قبض عليه الصلاة والسلام وهي لازمته وضامته إلى هذه المواضع من جسدها كما قال ابن الأثير .

(٢)منال الطالب ٥٧٥ ، وقد شرح ابن الأثير معاني المفردات قال : « الأكنانُ جمع كِنٍّ وهو الموضعُ الساترُ الذي يُسْكَنُ فيه ، أراد فيه قُعودها في بيتها بالمدينة ، **البليل :** البَلَلُ والنداوةُ ، **ومستَنُّ السيولِ :** مَجراها ، **والتثوّي :** الإقامة ، **واستجمَّ البئرَ :** تركها أيامًا لا يستقي منها حتى يجتمع ماؤها ، **والمثابة :** الرجوعُ ، أرادت أنه كان يحلم عن الناس ولا يتسافَهُ عليهم، فكأنما كان يجمعُ سفهه ويدخرهُ من أجلي ، **والوَعْرُ:**المكان الغليظُ الصعبُ المسلكِ ، **والسبيلُ :** الطريق » .

`

سهلـةَ سَبيلَـها

ولا تـنَسَـيَنْ فـي الله حـقَّ أُمـومتي فـإنكَ أَوْلـى النـاسِ أن لا تَقُولُها

ولا تـنْطِقَنْ فـي أمّـةٍ لـي بالخنا حنيفيَّـة قـد كـان بَعْلـي رَسُولُها[١]

وواضح من هذا الشعر ذلك السلسالُ الرائقُ الرفيعُ الذي يربط الأبياتَ بعضَها ببعضٍ، كما تبرزُ منه تلك العاطفةُ التي تمورُ في قلبها إزاء ما قاله الأحنف [٢] .

ومن آثارها اللغويةِ الساميةِ التي تدل على كمالِ فصاحتها ما نقله صاحبُ العقد الفريد في أبيها قبل موته ، قال : « إنها دخلتْ على أبيها في مرضه الذي توفي فيه فقالت : يا أبتِ ، اعْهد إلى خاصَّتِكَ ، وأنْفذ رأيكَ في عامتك ، وانقل من دارِ جهازك إلى دارِ مقامك إنك محضور ، ومتصل بي لوعتك ، وأَرى تخاذلَ أطرافِكَ وانتقاعَ لونِكَ ، فإلى اللهِ تَعزيتي عنك، ولديه ثوابُ حُزني عليك ، أَرْقأ فلا أُرْقأ ، وأَشكو فلا أُشكى » [٣] .

وحين توفي ا رثته رِثاءً يفيضُ بالعاطفة ، ويمورُ بالحزن ، وتظهرُ منه قوةُ الإيمان ، والرضا بقضاءِ الله ، مظهرةً ذلك كلَّه

---

(١) منال الطالب ٥٧٥ ، وتكتان : أي تكون من الكون ، أي يوشك أن تكون سبيلها وعرةً ، تريد به خطةً صعبةً بعد أن كانت سهلةً .

(٢) ولا ندري أهذه الأبيات لشاعر تمثلت بها أم من نظمها ، والظاهر أنه من نظمها ل .

(٣)العقد الفريد ٢٤٧/٤ ـ ٢٤٨ ، وقولها : أرقأ فلا أُرقأُ ، أي : أُسكنُ حزني فلا يسكنُ .

بأسلوبٍ أدبي ماتعٍ رائعٍ ، مستخدمةً ثروتَها اللفظيةَ العاليةَ الغزيرةَ ، لإبداء عواطِفها ومشاعِرها ، وقفتْ ل على قبره وقالت : نضّرَ الله وجَهك يا أبتِ ، وشكرَ لك صالحَ سعيك ، فلقد كنتَ للدنيا مُذلًّا بإدبارِكَ عنها، وللآخرة مُقرًّا بإقبالِكَ عليها ، ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله رِزؤك ، وأعظمَ المصائب بعده فَقْدُكَ ، إن كتابَ الله ليَعِدُ بحسنِ الصبرِ عنك حسنَ العوضِ منك ، وأنا أَستنجزُ موعود الله فيك بالصبرِ، وأَستقضيه بالاستغفار لك ، أما إن كانوا قاموا بأمرِ الدنيا ، لقد قُمتَ بأمرِ الدين لمّا وهَى شُعَبُه ، وتفاقم صدعهُ ، ورجفتْ جوانبُهُ ، فعليكَ سلامُ الله،توديعُ غيرِ قاليةٍ لحياتِك ولا زاريةٍ على القضاءِ فيك [١].

والظاهر أن آثارها الأدبية من خُطبٍ وأقوالٍ تلك التي وصلتْ إلى العلماء جعلتهم مأخوذين بفصاحتها وقدرتها على تصريف الكلام ، وذلك بتنوعِ الأساليب حسبَ المحافلِ والمقاماتِ ، لقد لفتتْ هذه الفصاحةُ والبراعةُ انتباهَ الفصحاء ، فنوهوا بها وأشاروا إليها وأَثنَوا عليها ، قال موسى بن طلحة : ما رأيت أحدًا

(١) الإجابة ٥٧ . أي هذا توديعُ ، وغير إما منصوب على الحال ، أي هذا توديعٌ حالةَ كوني غيرَ قاليةٍ ، ويجوز رفع غير على أنها خبر المبتدأ محذوف أيضا أي هذا توديعٌ ، أنا غير قالية لحياتك .

`

أفصحَ من عائشة[١] ، ونُقِلَ عن ابن سيرين عن الأحنفِ قال : سَمعتُ خطبةَ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدهم ، فما سمعتُ الكلاَم من فمِ مَخلوقٍ أفخمَ ولا أحسنَ منه من فيِّ عائشةَ [٢]، وذكر صاحبُ المستطرف هذا القولَ نَفسَه وأنهاه بالقول : لا واللهِ ما رأيتُ فيهم - أي في كلام أبي وعمر وعثمان وعلي - أبلغَ من عائشَةَ [٣] ، ووصفَ معاويةُ ا أيضا فصاحتها وقدرتها على تصريف الكلام بقوله : ما رأيت أبلغَ من عائشةَ ل ما أغلقتُ بابًا فأرادتْ فَتحه إلا فتحته ، ولا فتحتُ بابًا فأرادتْ إغلاقَهُ إلا أَغلقتْهُ [٤] .

وقد ذكرنا من قبلُ ما ذكره صاحبُ الإمتاع والمؤانسةِ على لسان الوزير بعد سماعه خطبتها مشيدًا بفصاحتها وبلاغتها في المواقفِ التي قد يُرتَجُ على الفصحاء فيها ، قال الوزير : ما أفصحَ لسانها وأشجعَ جَنانَها في ذلك المحفِلِ الذي يتبلبلُ فيه كلُّ قُلْقُلٍ [٥] .

وبهذا احتلتْ ل المكانةَ الساميةَ والمنزلةَ الرفيعة عند العلماء ، وتبوأت الصدارةَ عند الأثبات من المحققين ، وما أجملَ أن

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩١/٢ ، وانظر القول في الإجابة ٥٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩١/٢ ، والإجابة ٥٧ ، والمستطرف ٨٠/١ .

(٣) المستطرف ٨٠/١ .

(٤) المستطرف ٨٠/١ .

(٥) الإمتاع ٢٠٠/٣ . والقلقل والقلاقل : المعوان السريع التقلقل أي التحرك ، والمعنى : أن هذا الموقف يخشاه البليغ القادر على التصرف والتحرك في الكلام . انظر : القاموس المحيط (قلل) .

يتصــدى طالــب متميــز لدراســة أســاليبها فــي أقوالهــا وخطبهــا ومروياتها لنرى سيرورتَها اللغويةَ وطرائقَها التعبيريةَ البديعةَ .

آثارها في كتب الأمثال والمعاجم والكتب اللغوية

لــم تقتصــر مشــاركاتها اللغويــة علــى ميــدان الشــعر والشــعراء والخطب، بل نراها لكونها منبعًا لغويًا فصيحًا ثرًا صارت مصدرًا لغويًـا راقيًـا أفـاد منــه اللغويـون ، فهـي ل علـى بُصْـر بالأمثـالِ العربية ، بل هي جُزْءٌ من ثقافتها اللغوية الواسعة ، لقد استعملت هذا المخزونَ اللغويَّ في أوقاته الداعية إليه ، من ذلك :

* ما قالته لسيدنا علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ يوم الجملِ حين ظهر على الناس فدنا من هودجها وكلمها فأجابته : ملكتَ فأسْجحْ ، أي ظَفِرْتَ فأحسنْ ، فجهزها بأحسنِ جَهازٍ، وبعثَ معها أربعين امرأَة، وقيل: سبعين إلى المدينة [1] .

* ومن أقوالها في هذا اليوم أيضا – وقد صار مثلًا من الأمثال ـ قولها لسيدنا علي : قد بلَغْتَ منا البِلَغين . وهو مثل يقالُ في الأمور الدواهي ، ومعناه هنا أن الحرب قد جهدتنا وبلغتْ منا كلَّ مبلغٍ [2] .

---

(١) العقد الفريد ١٠٣/٣ ، وقد استعمله الرسول ق بقوله « **يا ابن الأكوع ملكت فأسجح** » أي قدرت فاعفُ . انظر فتح الباري ٥٧٨/٧ وانظر أيضا كتاب الأمثال لأبي عبيد ١٥٤ .

(٢) كتاب الأمثال لأبي عبيد ٣٤٩ ، وانظر الصحاح واللسان مادة (بلغ).

`

* ومثلُ ذلك أيضًا قولُها ليزيد بن الأصم ابن أختِ ميمونةَ زوجِ النبي ق المثل المشهور: رُميَ برَسَنِكَ على غارِبِك [١] .

* ومن الأمثلة التي ذكرتها كتب الأمثال قولها : (لليدينِ وللفَمِ) . ومعنى هذا القول كبَّه الله لِيدَيه ولِفَمه ، قالته لمالك بن الأشتر النخعي الذي كان أشدَّ الناس على عثمان [٢] .

* ومن الأمثلة التي تمثلت بها : (لا جديدَ لمن لا خَلَقَ له) . ومعناه صنْ خَلَقَك ولا تضيعَه فإنه يكون إذا لبسته وقايةً للجديد ، قال أبو عبيد : « وهذا المثل نحن نرويه عن عائشة أم المؤمنين ، وقد كانت وَهَبَتْ مالا كثيرًا ثم أمرتْ بثوب لها أن يُرقَّعَ ، فتمثلَتْ بهذا المثل عند ذلك » [٣].

* ومن أقوالها البليغة التي أفادتها من النبي ق - إضافة إلى المثل المشهور الذي ذكرناه آنفا وهو : ملكتَ فأَسْجِحْ - القولُ المشهورُ

---

(١) العقد الفريد ١٢٣/٣ ، وانظر أيضا كتاب الأمثال ٢٥٢ ، واللسان مادة (رسن) .

(٢)كتاب الأمثال لأبي عبيد ٧٧ ، وانظر الحاشية.

(٣)كتاب الأمثال لأبي عبيد ١٩٠ .

الـذي ســارت بــه الركبــان قولهــا:لو اســتقبلتُ مــن أَمــري مــا استدبرتُ[1].

(١)مسند الإمام أحمد ٢٦٣٠٦ تتمته : ما غسلَ رسولَ الله ق إلا نساؤه .

`

بـل إن بعـضَ أقوالهـا صــار كالأمثــال لجمالــه البلاغــي وتركيبــه اللغوي:

من ذلك قولها : ما رأيتُ كاليوم فرحًا أقربَ من حُزن [1] .

ومن ذلك أيضًا قولها لسيدنا علي بعد وقعة الجمل : إنه والله ما كان بيني وبين عليٍّ في القديم إلا ما يكونُ بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندي على مَعتبتي لَمِنَ الأخيار .وقال سيدنا علي ا: أيها الناس صدقتْ والله وبرّتْ ، ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة [2].

ومن ذلك أيضا ما ذكره أبو عبيد حين تحدث عن المثل القائل : إن الرثيئةَ تفثأُ الغضبَ . قال أبو عبيد بعد شرحه المثل : « ومن الرغبة في المعروف وإن كان يسيرًا حديث عائشة ل حين سألها سائلٌ وعندها طبقٌ عليه عِنبٌ فأعطته حبةً وعندها نساء فضحكْنَ من ذلك ، فقالت : (إن فيما تَرَيْنَ مثاقيلَ ذَرٍّ كثير) . قال أبو عبيد : تريد قول الله لأ(ڈ ڎڎژژ ڑ)ويُروى عن عبد الرحمن بن عوف

---

(١)مسند الإمام أحمد ٢٦٤١٣ . اقتصرنا على بعض الأمثلة ولو أردنا جمع أقوالها البليغة المضيئة من كتب الأحاديث والمعاجم واللغة لاجتمع من ذلك مجلدات ، لأن فصاحتها ظاهرة في كل آثارها ل وأرضاها وهي تبدو للقارئ حسب مستواه العلمي ، فالمتخصص في علوم البلاغة يرى فيها ضروبا وفنونًا عجيبة والمتخصص في النحو يقف على تراكيب بديعة ، والمتخصص باللغة يرى نفسه أمام معاجم لغوية ثرة ، كلها سُقيتْ من ماء واحد ، وقد عَلِمَ كل أناس مشربهم ، ولكلٍّ وجهة هو موليها .

(٢)عائشة والسياسة ٢٣٢ والنقل عن تاريخ الطبري ٥٤٧/٣ .

`

مثله أيضًا» [١].

وذكر ابن منظور حين تحدثَ عن لفظة (وحد) ، أنها قالت في وصف عمر : « كان والله أحوذيًا نسيجَ وحدِه » ، وشرَحَ قولها قائلًا « تعني أنه ليس له شبيهٌ في رأيه وجميعِ أموره » [٢] .

وفي لسان العرب كثير من أقوالها وتفسيراتها من ذلك : ما نقله عنها وهو يشرح قولَ العرب : حَبْلُكَ على غاربكَ ، قال :« وكانتِ العربُ إذا طلقَ أحدهم امرأته في الجاهلية قال لها: حبْلُكِ على غاربِكِ ، أي خليتُ سبيلَكِ فاذهبي حيثُ شئت ، وأضاف قائلًا : وفي حديث عائشةَ ل ليزيد بن الأصمِّ رُمِيَ برَسَنِكَ على غاربك ، أي: خُلِّيَ سَبيلُك فليس لك أحدٌ يمنعكَ عما تريد تشبيهًا بالبعير يُوضَعُ زِمامُهُ على ظهره ويُطْلَق، يَسْرَحُ أين أرادَ في المرعى » [٣]

ومن ذلك أيضًا ما ذكره عنها حين عرض للفظة الغراب قال :

« وفي الحديث أنه غيرَ اسم غرابٍ لما فيه من البعد ، ولأنه من

---

(١)كتب الأمثال لأبي عبيد ١٦٧. **والرثيئة:** اللبن الحامض يخلط بالحلو، **وتفثأ:** تكسر.

(٢)اللسان : وحد ، وانظر القول في العقد ٦١/١ . وانظر قولها (مالنا طعام إلا الأسودان وتفسيره في اللسان أيضًا مادة سود)وانظر روح المعاني ١٤٦/١

(٣)اللسان : غرب .

`

أَخبثِ الطيور ، وفي حديث عائشةَ لما نزل قولهُ تعالى : (ں ڻ ڻ ۀ) فأصبحنَ على رؤوسهنَّ الغِربانُ » وشرح ابن منظور قول عائشة رضي الله عنها فقال : « شبهتِ الخُمَر في سوادها بالغِربانِ » [١] .

ولم يقتصرِ الأمرُ على أهلِ المعاجم في الاستئناس بأقوالها ، بل نرى كتبَ اللغة والأدبِ حافلةً بها أيضًا ، من ذلك الحديثُ المشهور بحديثِ أمِّ زرعٍ صدَّره ابنُ الأثير بقوله « قالتْ عائشةُ : اجتمعت إحدى عشرةَ امرأةً فتعاهدنَ وتعاقدنَ ألاَّ يكتمْنَ من أخبار أزواجهنَّ شيئًا » وذكرتْ فيه السيدة عائشة ما قالته كلُّ زوجةٍ ما بزوجها من الأوصافِ والصفاتِ والخصالِ والشمائلِ ، وراحَ ابنُ الأثير يشرحُ المفرداتِ اللغويةَ مُظهرًا المرادَ منها بدقة ووضوح [٢] ، واستغرق الحديثُ في كتاب منال الطالب ثلاثَ صفحاتٍ تقريبًا .

---

(١)اللسان : غرب .

(٢) قال ابن الأثير في منال الطالب ٥٣٧ : « هذا حديث صحيح متفق عليه ، أخرجه البخاريُّ ومسلم في صحيحهما عن عائشة أنها حدثتْ به النبيَّ × ، وهو مرويٌّ من طرق كثيرة كذلك ، ورواه جماعة عن عائشة عن النبي ق أنه حدثها به ، وكذلك رواه أبو عبيد مرفوعا ، وهو مروي من طرق عدة ، والصحيح الأول » ، وأشار المحقق إلى أن القاضي عياض أفرده بالشرحِ ، وقد طُبِعَ هذا الشرحُ في المغرب الأقصى باسم : بُغيةُ الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد .

`

ومن ذلك أيضًا ما ذكره صاحبُ العقد الفريد حين تحدثَ عن الشعوبية ، فقال ناقلًا قولَها « كلُّ كرمٍ دونه لؤمٌ فاللؤمُ أولى به ، وكلُّ لؤمٍ دونه كرمٌ فالكرمُ أَولى به » ، وأضاف ابن عبد ربه شارحًا قولَها قائلًا : تعني بقولها : إنَّ أولى الأشياء بالإنسان طبائعُ نفسه وخصالُها ، فإذا كَرُمَتْ فلا يَضرّه لُؤْمُ أَوليتهِ ، وإذا لَؤُمَتْ فلا ينفعه كَرَمُ أَوليتهِ [١] .

ومن ذلك أيضًا ما ذكره صاحب الإمتاع والمؤانسة بعد ذكره خطبتها التي قالتها بعد مقتل عثمان ، فبعد أن مدحها بالفصاحة أردفَ ذلك بما يعززُ ويؤكدُ هذه الفصاحةَ ، قال : ورَويتُ أيضًا أنها قالت : مَكارِمُ الأخلاقِ عشرٌ ، صدقُ الحديثِ ، وصدقُ البأسِ ، وأداءُ الأمانةِ ، وصلةُ الرحمِ ، وبذلُ المعروفِ ، والتذممُ للجار ، والتذممُ للصاحبِ ، والمكافأةُ بالصنائعِ ، وقِرَى الضيفِ ، ورأسُهُنَّ الحياءُ ، فقال : واللهِ لكأنها نغماتُ النبيِّ ق، ما كان أَشهمَها وأَعلى نَظرَها وأَبينَ جوابَها [٢] .

ولا شك أنها حين ختمت هذه المكارم بقولها « ورأسهن الحياء» دلت على امتلاكها ناصية البيان والفصاحة ، إذ بالحياء

---

(١)العقد ٤١٤/٣ ، وانظر أيضًا العقد ٢٧٥/٢ .

(٢)الإمتاع ٢٠٠/٣ .

ملاك الأمر كله ، لقد استطاعت بهذه الجملة صنع معجم لغوي أخلاقي تحتوي مفرداته على كل القيم الأخلاقية الراقية تلك التي فصلتها قبل هذه الجملة ، فلله درها ما أجملَ قولَها الذي تنبعث منه-كما قال الوزير- نغماتُ النبي ق .

وما أجمل ما قالته - رضي الله عنها - عن مكة المكرمة وجمالها، فقمرها منير كما أنارت هي العلوم اللغوية والشرعية وغيرها، وسماؤها صافية كصفاء روحها، ونقاء سريرتها - رضي الله عنها - رأت القمر مضيئاً في سماء مكة ، فانقدح في عقلها تلك الصورة الجميلة ، والمشهد البديع ، فعبرت عن هذه الصورة بتراكيب لغوية راقية ، قالت: لولا الهجرة لسكنت مكة، فإني لم أر السماء بمكان أقربَ إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة[1]

ولو رحنا نجمعُ من كتبِ اللغة والأدب أقوالَها لاجتمعَ عندنا مئاتُ الأوراق التي تحتوي على مناهجَ أسستها ل في الأخلاقِ ، وقواعدَ أقامتها في التربيةِ ، ونظمٍ شادتها في الفضائل ، رضي الله عنها وأرضاها ، وحسبنا ما ذكرناه فإن القليلَ على الكثير دليلٌ .

ومما يلفت الانتباه وينبغي أن يُذكر أيضًا أنه لكثرةِ مخزونِها

---

(١) معجم البلدان ١٨٣/٥، انظر مكة الثقافية ، ٩١.

`

اللغوي باتت تنفرد في اشتقاقِ واستعمال بعض الألفاظ وتستخدمها في أساليبها اللغوية ، من ذلك أن لفظة (الصِّير) معناها : شَقُّ الباب ، ففي الحديث « من نظر من صيرِ بابٍ فَفُقِئَتْ عينُه فهي هَدَرٌ » قال أبو عبيد : لم يُسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث . وذكر ابن حجر أن عائشة استخدمت لفظة أخرى وهي (صائر) بدلًا من (صير) ، قالت : جلس رسول الله ق يُعرفُ فيه الحزنُ ، قالت عائشة : وأنا أطلع من صائر الباب ، تعني من شقِّ الباب . وبعد أن ذكر ابنُ حجر ما ذكرناه من قول أبي عبيد أضاف أيضًا أن ابن التين ذهب إلى أن هذا تغيير، وأن الصواب هو الصِّير ، لكن ابن حجر أكد على أن بعض الشراح أوردوا الحديث بلفظ (صائر) [(١)] . ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فالاشتقاق صريح صحيح لم يرده أحد من اللغويين فيما نعلم .

ومن استخداماتها لبعض الألفاظ اللغوية التي تُعد غير مألوفة عند العامة استعمالها لفظة (كذب) بمعنى الخطأ أي ضد الصواب وليس الكذب المعروف ، ففي استدراكها على أبي الدرداء الراوي لحديث الرسول ق « **من أدرك الصبحَ فلا وترَ له** » ذكر الزركشي

---

(١) فتح الباري ٥٣٩/١٠ و الصحاح واللسان والمصباح المنير مادة (صير) .

`

بعد ذلك ما نصه « فذُكر ذلك لعائشة فقالت : كذب أبو الدرداء ، كان النبي ق يصبح فيوتر . أخرجه البيهقي في سننه » [١] .

وبين ابن منظور أن الكذب هنا بمعنى الخطأ، وأكد على أن العرب استعملت الكذب في موضع الخطأ ، قال الأخطل :

كذبتكَ عينُك أم رأيتَ بواسطٍ

وقال ذو الرمة :

وما في سَمْعِه كَذِبُ [٢]

وأفاض ابن منظور بذكر كثير من الاستعمالات المؤكدة على استخدام كذب بمعنى أخطأ.

وإني لعلى يقين أن المعاجم اللغوية مملوءة بتفسيرات لغوية ذكرتها السيدة عائشة لبعض الألفاظ اللغوية ، وفياضة بإبداعات لغوية استخدمتها ل في أساليبها الكلامية، الأمر الذي يحتاج إلى دراسة متأنية في كتب اللغة والمعاجم للوصول إلى صنع معجم لغوي يظهر منه المخزون اللغوي عندها ، ونتبين منه قدرتها على

---

(١) الإجابة ١٤٨ .

(٢) اللسان مادة (كذب) .

`

تصريف الكلام وفق المقامات والسياقات التي يُقال فيها .

`

المبحث الرابع
آثارها في علوم القرآن
(القراءات وما يتصل بها)

من البداهة أن تشارك ل في علوم القراءات ، فهي زوجُ النبي ق وبيتها كانَ مهبِطَ الوحي ، لذا رُوِيَ عنها كثيرٌ من القراءات ، أحصينا منها الآتي :

ـ قرأتْ قوله تعالى : (ٹ ٹ ڈ) [1] **(ملكُ يوم الدين)** برفع الكاف من غير ألف ، وشاركها في هذه القراءة سعدُ بن أبي وقاص وَموْرقُ العُجَلي [2] ، وتوجه على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو ملك يوم الدين .

ـ قرأتْ قوله تعالى : (ڈ ڌ ڌ ڍ) [3]

« ڍ » بتشديد الطاء والواو مفتوحتين ، أي يكلفونه أو يقلدونه من: اطّوّق ، وأَصلهُ تطوق على وزن تفعّل ، ثم أدغموا التاء في الطاء فاجتلبوا في الماضي والأمر همزة الوصل ، وقرأ مع عائشة مجاهد وطاووس وعمرو بن دينار ، وقال بعض الناس ـ كما قال

---

(١) الفاتحة ٤ .

(٢)البحر المحيط ٢٠/١ .

(٣)البقرة ١٨٤ .

`

أبو حيان - عن هذه القراءة بأنها تفسير لا قراءة ، والذي قاله الناس خلافُ مقالَة هذا القائل[1] .

- قرأتْ قولَه تعالى : (ﭙ ﭙ) [2] بنصب الصلاة ، ووجهها الزمخشري بأنها منصوبة على المدح والاختصاص [3] ، وأجاز أبو حيان عطفها على موضع (ﭘ ﭘ) من قوله تعالى السابق: (ﭑ ﭘ ﭘ) لأن موضعه هو النصب كما تقول : مررت بزيد وعمْرا [4] .

- قرأت قوله تعالى : (ﮉ ﮉ □ □ □ □) [5] بفتح فاء أَنفَسهم ، أي من النفاسة أي من أنفسهم وأشرفهم [6] ، ونسب الزمخشري هذه القراءةَ إلى النبي ق ، وفاطمة ، وأضاف أبو حيان إليهم الضحاك وأبا الجوزاء [7] ، ووجهها الزمخشري بقوله : أي

---

(١)البحر ٣٥/٢ . وانظر روح المعاني ٨٥/٢ .

(٢)البقرة ٢٣٨ .

(٣)الكشاف ١٧٠ .وفي الاتقان ٥٣٣/٢ أنها قرأت مع حفصة: والصلاة الوسطى صلاة العصر وهي قراءة تفسير كما قال أبو عبيد .

(٤)البحر ٢٤٢/٢ .

(٥)آل عمران ١٦٤ .

(٦)الكشاف ٢٠٤ ، والبحر ١٠٤/٣ .

(٧)الكشاف ٢٠٤ ، والبحر ١٠٤/٣ .

`

من أشرفهم ، فعدنانُ ذروةُ ولد إسماعيل ، ومضر ذروةُ نزارِ بنِ معد بن عدنان ، وخِنْدَفُ ذروةُ مضر ، ومدركةُ ذروةُ خِنْدَفَ ، وقريشٌ ذروةُ مدركةَ ، وذروةُ قريشٍ محمدٌ ق [١] .

ـ قرأت قوله تعالى : (چ چ) [٢] « ضُعفاء » بضم الضاد والمد كظريف وظرفاء ، وهو جمع قياسي كما قال أبو حيان ، وهي قراءة السلمي والزهري وأبي حيوة وابن محيصن أيضًا [٣] .

ـ قرأتْ قوله تعالى : (□ □ □ □ □ □) [٤] ، بفتح الميم من « □ » على الاستفهام ورفع نفسك ، قال أبو حيان : فَمنْ استفهام معناه الاستنكار ، أي فَمنْ نَفْسُك حتى يُنسبَ إليها فعل المعنى؟ ما للنفس في الشيء فعل [٥] ، ومن مبتدأ ونفسك خبره .

ـ قرأت قوله تعالى: (ۇ ۆ ۈ ۈ ۇٴ) [٦] بنصب « ۇٴ »

(١)الكشاف ٢٠٤ .

(٢)النساء ٩ .

(٣)البحر ١٧٨/٣ .

(٤)النساء ٧٩ .

(٥)البحر ٣٠٢/٣ .

(٦)المائدة ٦٩ .

وشـاركها فـي ذلـك عثمـان وابـن جبيـر والجحـدري وأُبـيٌّ، وقـال الزمخشري : وبها قرأ ابن كثير ، وهي معطوفة على اسم إن ، وهو الوجه المرضي عند البصريين قبل استكمال الخبر وهو قوله تعـــــــــــــــــــــــــــــــالى

(ﭙ ﭚ)[1]

ـ قرأت قوله تعالى : (ﯚ ﯛ ﯜ) [2] بالتاء المفتوحة بدلًا من الياء في يستطيعُ ونصبِ ربُّكَ ، أي هل تستطيعُ ربَّك ؟ وشاركها في هذه القراءة علي بن أبي طالب ومعاذ وابن عباس وابن جبير والكسـائي ، ووضـح مكـي وجـه هـذه القـراءة فقـال : « وحجة من قرأ بالتاء أنه جاء على مخاطبةِ الحَواريين لعيسى ، وفيه معنى التعظيم للرب جل ذكره على أن يستفهمَ عيسى ليس عن استطاعته ، إذ هو تعالى مستطيعٌ لذلك، فإنما معناه هل تفعلُ ذلك ؟ على معنى افعل ذلك ، وهل تستطيعُ سؤالَ ربك في إنزالِ مائدةٍ علينا ، والمعنى هل تفعلُ لنا ذلك ؟ وقد علموا أن عيسى يستطيعُ السؤالَ ولا بد من إضمارِ السؤال ، إذ لا يجوز أن يقال : هل

---

(١) الكشاف ٣٠٢ ، والمحرر الوجيز ٥٢٢/٤ ، والبحر ٥٣١/٣ ، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٦٤٥/٢ .

(٢) المائدة ١١٢ .

تستطيع أن يفعلَ غيرك كذا ، فأن مفعول بالمصدر المحذوف وهو السؤال ، وهذا كما تقول للرجل : هل تستطيعُ أن تكلمني وقد علمت أنه مستطيع لذلك » [١] وعضد مكي هذا التوجيه بقول عائشة ل مفسرةً هذه القراءة ، قال : رُوِيَ عن عائشة ل أنها قالت : كان القوم أعلمَ بالله لأ من أن يقولوا : هل يستطيعُ ربُّكَ ؟ ولكن هل تستطيع ربك ؟ ورُوي عنها أنها قالت : كان الحواريون لا يشكّون أن الله يقدر على إنزال مائدة عليهم ، ولكن قالوا هل تستطيعُ ذلك، وعن معاذ بن جبل أنه قال : أقرأنا النبي × هل تستطيعُ ربُّكَ ، قال معاذ : وسمعت النبي × مرارًا يقرأ بالتاء في تستطيع[٢] .

ونقل أبو حيان عن أبي علي تقديرًا آخر لتوجيه هذه القراءة ، قال : وقال أبو علي : يمكن أن يستغنى عن تقدير سؤال على أن يكون المعنى هل تستطيعُ أن ينزل ربُّكَ بدعائك ، فيؤولُ المعنى ولابد إلى مقدر يدل عليه ما ذكر من اللفظ ، ورد أبو حيان هذا التوجيه بقوله : ولا يظهر ما قال أبو علي لأن فعلَ الله تعالى وإن كان سببه الدعاء لا يكون مقدورا لعيسى [٣] ، وقد قرأ الجمهور

---

(١) الكشف لمكي ٤٢٢/١ .

(٢) الكشف ٤٢٢/١ ، وانظر الكشاف ٣١٥ .

(٣) البحر ٥٤/٤ .

`

بالياء على معنى : هل يفعل ربك ذلك [١] .

- قرأت قوله تعالى : (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ) [٢]

« على طاعمٍ طَعِمَه » على أن طَعِمَهُ فعلٌ ماض وليس مضارعًا كما هو في قراءة السبعة ، وشاركها في ذلك محمد بن الحنفية[٣] ، وذكر أبو حيان أن قراءتها هي على طاعم تطعمه بالتاء على أنه فعل ماض على تفعل [٤] ، ولعل لها قراءتين في ذلك .

- قرأت قوله تعالى:(ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ) [٥] بفتح الفاء « ﮮ ﮯ » ، أي من أشرفكم وأفضلكم ، قال الزمخشري : قيل : هي قراءةُ رسولِ الله ق وفاطمةَ وعائشةَ ب [٦] .

- قرأت قوله تعالى : (ﭽ ﭾ) [٧] « بدم كدب » بالدال ، قال القرطبي : «وقرأ الحسن وعائشة بدم كدب ، أي بدمٍ طري ، يقال

---

(١) الكشف ٤٢٢/١ .

(٢) الأنعام ١٤٥ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥٠٧/٢ ، والمحرر الوجيز ٣٧٩/٥ .

(٤)البحر ٢٤١/٤ .

(٥)التوبة ١٢٨ .

(٦)الكشاف ٤٥٥ .

(٧)يوسف ١٨ .

`

للدم الطري :الكدب ، وحكي أنه المتغير قاله الشعبي ، والكدب أيضًا البياض الذي يخرج في أظفار الأحداث ، فيجوز أن يكون شبَّهَ الدَّمَ في القميص بالبياض الذي يخرج في الظفر من جهة اختلاف اللونين » [1].

- قرأتْ قولَه تعالَى : (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ) [2] ، بتشديد الذال والبناء للمجهول « كُذِّبوا » ، وشاركها في هذه القراءة الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وأبو رجاء وابن أبي مليكة والأعرج [3]، وأشار مكي إلى أن الكوفيين قرأوا بالتخفيف وشدد الباقون من القـــــــــــــــــــــــــــــــــــراء السبعة [4] ، وبين مكي حجة من شدد بقوله : حمله على معنى أن الرسل تلقّاهم قومهم بالتكذيب ، فالظن بمعنى اليقين ، وفي ظنوا ضمير الرسل ، فالهاء والميم في أنهم للرسل ، فعطفوه على استيأس الرسل والتقدير : وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما جاؤوهم به من عند الله - جل ذكره - [5] ، ثم ذكر تفسيرَ عائشةَ

---

(١)الجامع ٢٨٧/١٢ .

(٢)يوسف ١١٠ .

(٣) الكشف ١٥/٢ ، وروح المعاني ٧١/١٣ .

(٤) الكشف ١٥/٢ ، وروح المعاني ٧١/١٣ .

(٥) الكشف ١٥/٢ .

`

لهـــــــــــــــذه القـــــــــــــــراءة بقولـــــــــــــــه

« وقد روي عن عائشة ل في هذه القراءة معنى غير ما ذكرناه ، أنها قالت : لَحِقَ الرسلُ البلاءَ والضررَ حتى ظنوا أن المؤمنين قد كذَّبوهم لِما لَحِقَ المؤمنين من الفتن على الإيمان ، فيكون الظنُّ على هذا بمعنى الشك ، والتقدير : وظن الرسلُ أن مَنْ آمن بهم قد كذَّبوهم لِمَا لحقهم من البلاء من الكفار [(١)].

ـ قرأت قوله تعالى : (□ □ □) [(٢)] « إنَّ هذين » بتشديد إن وهذين بالياء بدل الألف ، ورويت هذه القراءة أيضًا عن الحسن والأعمش والنَّخَعي والجَحْدري وابن جبير وابن عبيد ، وإعراب ذلك واضح ، إذ جاءت القراءة كما يقول الآلوسي على المَهْيَعِ المعروف في مثله [(٣)] ، ووضَّحَ مكي هذه القراءة بقوله : أَعمل إنَّ في هذان فنصبته وهي اللغة المَشهورة المستعملة ، لكنه خالفَ الخطَّ فضُعِّفَ في ذلك [(٤)] ، ومراده أنها خالفت رَسم المصحفِ الإمامِ ، فإن اسم الإشارة فيه بدون ألف وياء ، فإثبات الياء زيادةٌ

---

(١) الكشف ١٥/٢ ، وانظر الإجابة ١٠٠ ، والجامع ٤٧٣/١١ ، وروح المعاني ٧١/١٣ .

(٢) طه ٦٣ .

(٣) روح المعاني ٢٢٤/١٦ .

(٤) الكشف ١٠٠/٢ .

`

عليه [١] ، ورد الآلوسي ذلك بقوله : ولو سَلِمَ فكم في القراءات ما خالف رسمُهُ القياسَ مع أن حذف الألف ليس على القياس أيضًا [٢]
.

- قرأت مع ابن عباس قوله تعالى : (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) [٣] « والذين يأتون ما أَتَوْا » من الإتيان ، وهي قراءة مرويةٌ عن النبي ق أيضا كما قال النحاس ، ومعناها أنهم يعملون ما عملوا [٤] ، وصدَّرَ النحاسُ هذا ببيان معنى الآية بما يفيد كيف كانت عائشة ل تسأل النبي ق ويجيبها ، قال النحاس : « قال عبد الرحمن بن سعيد الهمداني : عن عائشةَ ل قالت : سألت رسول الله ق عن قوله تعالى

(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) أهو الرجل يزني أو يسرقُ أو يشربُ الخمرَ ؟ فقال : لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألّا يُتقبّلَ منه [٥] .

---

(١) روح المعاني ٢٢٤/١٦ .

(٢) روح المعاني ١٦ /٢٢٤ .

(٣) المؤمنون ٦٠ .

(٤) معاني القرآن ٤٦٩/٤ ، وروح المعاني ٤٤/١٨ .

(٥) معاني القرآن ٤٦٩/٤ ، وانظر تخريج المحقق للحديث في الهامش .

`

ـ قرأت قولـه تعـالى : (ﯡ ﯢ) [١] « ركـوبتهم » بالتـاء[٢] ، وهـي فَعولـة بمعنـى مفعولـة،قال الزمخشـري :وقيل الركوبـة جمـع انتهى [٣]، قال أبو حيان : ويعنـي اسم جمعٍ لأن فعولة بفتح الفاء ليس بجمعِ تكسيرٍ، وقد عدَّ بعضُ أصحابنا أبنية أسماء الجموع فلم يـذكر فيهـا فَعولـةً، فينبغـي أن يعتقـد فيهـا أنهـا اسـم مفـرد لا جمـعُ تكسيرٍ ولا اسمُ جمعٍ ، أي مركوبتهم كالحلوبة بمعنى المحلوبة [٤] .

ـ قرأت قولَـه تعـالى : (ﮱ ﯓ ﯔ) [٥] بفتح تـاء « تلقونـه » وكسـر الـلام وضـم القـاف أي « تَلِقُونـه » أي ترددونـه مـن ولْـقِ الكلام أي كَذِبه [٦] ، وقيل : إن هذه اللفظة مأخوذة من الولْقِ الذي هو الإسراع ، وقد ربط الفراء بين المعنيين بقولـه : « والولْقُ فـي السير ، والولْقُ في الكذب بمنزلته إذا استمر في السير والكذب فقد ولـق » [٧] ، ففـي تـرداد الكـلام وتتابعـهِ شَـبَهٌ بتتـابع السـيرِ ، لكـن

---

(١) يس ٧٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٨١/٢ ، والكشاف ٨٩٩ ، والجامع ٤٨٦/١٧ قال : وكذا في مصحفها .

(٣) هذا النقل غير موجود في الكشاف بتحقيق خليل مأمون شيحا ٨٨٩ ، ومراده أنها جمع ركوب .

(٤) البحر المحيط ٣٤٧/٧ ، وانظر روح المعاني ٥١/٢٣ .

(٥) النور ١٥ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ ، والكشاف ٧٢٢ ، وفتح الباري ٥٤٣/٧ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ ، والبحر المحيط ٤٣٨/٦ ، وفتح الباري ٥٤٣/٧ .

بعضهم مال إلى أن المرادَ في هذه القراءة هو الكذب ، قال الآلوسي : « ورُوِيَ عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها كانت تقرأ ذلك وتقول : الولْقُ الكذب ، وقال ابن أبي مُليكة : وكانت أعلمَ من ذلك بغيرها لأنه نزلَ فيها [١] ، وأفاد أهل اللغة من هذه القراءة ، قال الآلوسي : « وفيه ردٌّ على من زعم أن وَلَقَ إن كان بمعنى كَذَبَ لا يكون متعديًا ، وهو ظاهر كلام ابن سيده ، وارتضاه أبو حيان ، ولذا جَعلَ ذلك من باب الحذف والإيصال ، والأصل تُلقونَ فيه» [٢] .

- قرأتْ قوله تعالى : **(ڎ ڎ ڤ ڤ)** [٣] بكسر الكاف والتاء في جاءتك مخاطبةً للنفس [٤] ، وشاركها في هذه القراءة أبوها أبو بكر ب وروتها أم سلمة عن النبي ق وقرأ بذلك ابنُ يَعْمَر ، والجَحْدَري ، وأبو حيوة ، والزعفرانيُّ ، وابنُ مُقْسمٍ ، ومسعود بن صالح ، والشافعي عن ابن كثير [٥] ، وذكر النحاس أن بعضهم أنكر هذه القراءة وقال : يجب إذا كسر التاء أن يقول :

---

(١) روح المعاني ١١٩/١٨ ، وانظر كلام أبي حيان في البحر ٤٣٨/٦ .
(٢) روح المعاني ١١٩/١٨ ، والبحر ٤٣٨/٦ .
(٣)الزمر ٥٩ .
(٤)الكشاف ٩٤٥ .
(٥)البحر المحيط ٤٣٦/٧ ، وروح المعاني ١٩/٢٤ .

وكنتِ من الكوافر أو من الكافرات ، ورد النحاس هذا الإنكار بقوله: وهذا لا يلزم ألا ترى أن قبله « أن تقولَ نفسٌ » ثم قال: « وإن كنتُ لمن الساخرين » ولم يقل من السواخر ولا من الساخرات ، والتقدير في العربية على كسر التاء : واستكبرتِ وكنتِ من الجميع الساخرين أو من الناس الساخرين أو من القوم الساخرين ، و« قوم » يقع للرجال والنساء إذا اجتمعوا ، وللرجال مفردين كما قال الشاعر :

وما أدري وسوفَ إِخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أمْ نساءُ[١]

- قرأت قولَه تعالى : (ﮏ ﮐ) [٢]بضم راء فروح والجمهور بفتحها ، وشاركها في هذه القراءة ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ونوح القارئ ، والضحاك ، والأشهب ، وكثير غيرهم [٣] .

ووجه الزمخشري هذه القراءة ناقلًا عن الحسن قوله « وقال : الروحُ الرحمةُ ، لأنها كالحياة للمرحوم ، وقيل : البقاءُ ، أي فهذان له معًا وهو الخلود مع الرزق والنعيم ، والريحان الرزق »

---

(١)معاني القرآن للنحاس ١٨٨/٦ ، والبيت لزهير بن أبي سلمى انظر تخريجه في هامش المصدر المذكور .

(٢)الواقعة ٨٩ .

(٣)البحر المحيط ٢١٥/٨ ، والاتقان ٥٠٥/٢

[1] ، وأشار أبو البقاء إلى الفرق بين قراءة الجمهور - بفتح الراء - وهـذه القـراءة فقـال :
« فالفتح مصدر ، والضم اسم له ، وقيل : هو المتروَّحُ به » [2] .

- قـرأتْ قولَـه تعـالى : (   ) [3] « علـتهم » بتـاء التأنيث ، على أن علت فعل ماض وثياب فاعل [4] .

- قرأت قوله تعالى : (ۇ ۆ ۆ ۈ) [5] « وبَرَزَتْ » بـالتخفيف والبنـاء للفاعل وتـرى بالتـاء، وشـاركها فـي هذه القـراءة زيد بن علي،وعكرمة ، ومالك بن دينـار [6]، ووجـه أبـو حيـان هذه القراءة قائلًا « وبتاء يجوز أن يكون خطابًا للرسول ق ، أي لمن تَرى من أهلها، وأن يكون إخبارًا عن الجحيم فهي تـاء التأنيث ، قال تعالى : (ٱ ٻ ٻ ٻ) » [7] ، فإن قيل : كيف تم إسناد الرؤيا إلى جهنم على هذا التقدير ؟

---

(١)الكشاف ١٠٨٠ ، وانظر البحر ٢١٥/٨ .

(٢)التبيان ١٢٠٦/٢ .

(٣)الدهر ٢١ .

(٤)البحر ٣٩٩/٨ .

(٥) النازعات ٣٦ .

(٦) البحر ٤٢٣/٨ ، وروح المعاني ٤٥/٣٠ .

(٧) البحر ٤٢٣/٨ ، وانظر الكشاف ١١٧٧ .

فالجواب كما في قول الآلوسي: وإسناد الرؤيا لها مجاز وهو حقيقة على أن يخلقَ الله تعالى ذلك فيها »[1] ، وأضاف الآلوسي أن الخطَابَ قد يكون موجهًا إلى الرسول ق كما أفاد أبو حيان من قبلُ ، أو إلى كل راء كقوله تعالى :(ٱ ٻ ٻ ٻ) أي لمن تراه من الكفار [2].

- قرأت قوله تعالى : (ژ ژ) [3] بالمد على الاستفهام أي « آلهاكم » ، وشاركها في هذه القراءة ابن عباس ، ومعاوية ، وأبو عمران الجوني ، وجماعة ، ومعنى الاستفهام هنا هو التوبيخ والتقرير [4].

---

(١) روح المعاني ٤٥/٣٠ .

(٢) روح المعاني ٤٥/٣٠ .

(٣) التكاثر ١ .

(٤) البحر ٥٠٨/٨ ، وروح المعاني ٢٨٧/٣٠ .

`

هذه هي القراءات التي رصدناها للسيدة عائشة ل تلك التي نصتْ كتبُ القراءات والتفسير على أنها قرأت بها ، وقد بينا توجيهَ النحاة لها وما ذكروه حولها .

أما القراءات التي روتها السيدة عائشة ولم تنصَّ كتبُ القراءات والتفسير صراحةً على أنها قرأت بها فقد رصدنا منها ما يأتي :

١- روايتها لقراءة النبي ق لقوله تعالى : (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) [(١)] ، أنه قرأ : « إنه عَمِل غيرَ صالحٍ » على أن عمل فعل ماض ونصب غير ، قال الفراء : « وحدثني أبو إسحاق الشيباني قال : حدثني أبو روقٍ عن محمدِ بنِ حُجادةَ عن أبيه عن عائشة قالت : سمعتُ رسولَ الله ق يقرأ « إنَه عمِلَ غيرَ صالحٍ » [(٢)] - على أن عمل فعل ماض ونصب غير- وأكد الفراء هذه القراءة بقوله «وحدثني ابن أبي يحيى عن رجل قد سماه قال : لا أراه إلا ثابتًا البناني عن شهرِ بنِ حوشبٍ عن أم سلمَة قالت : قلت يا رسول الله كيف أقرؤها ؟ قال : « إنه عَمِل غيرَ صالحٍ » » [(٣)] ، وممن قرأ بذلك الكسائي من السبعة ، وقرأ الباقون بفتح الميم وضم اللام منونة والباقون رفعوا ، وبين مكي وجه هذه القراءة بقوله

---

(١) هود ٤٦ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١٨/٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٨/٢ .

« وحُجَّةُ من قرأ بكسر الميم ونصب غيرًا أنه جعل الضمير في إنه لابن نوح ، فأخبر عنه بفعله وجعل غيرًا صفة لمصدر محذوف ، والتقدير إن ابنك عَمِل عملا غير صالح ، أما قراءة الجمهور فالضمير في إنه راجِع إلى السؤال، فجعل العملَ خبرَ إنَّ لأنه هو السؤال ، وجعل غيرًا صفة للعمل،والتقدير:إن سؤالك أَنْ أنجي كافرًا عملٌ منك غيرُ صالح » [1].

٢- روايتها لقوله تعالى : (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ) [2] بفتح التاء للخطاب ، قال الآلوسي: « وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة » ما تبغي « بتاء الخطاب ، وروت عائشة - رضي الله تعالى عنها - ذلك عن النبي، والخطاب ليعقوب × » [3] .

هذا ما جمعناه من قراءات السيدة عائشة ل وروايتها لبعض الآيات القرآنية .

ويجدر أن ننبه إلى أن بعضَ مبغضي عائشة ل نسبَ إليها قولًا مضمونه أن اللحن واقع في القرآن الكريم ، لكن المحققينَ من

---

(١) الكشف ١/٤٦ - ٥٣٠ ، وانظر الكشاف ٤٨٦.

(٢) يوسف ٦٥ .

(٣) روح المعاني ١٣ /١٣ .

`

العلماء رَدُّوا ذلك ونَفَوا عنها تلك التهمة، قال ابن هشام: « وقال المهدويُّ في شرح الهداية : وما رُوِيَ عن عائشةَ ل من قولها : « إن في القرآن لحنًا ستقيمه العرب بألسنتها » ، لم يصحَّ ولم يُوجَدْ في القرآن العظيم حرفٌ واحدٌ إلا وله وجهٌ صحيحٌ في العربية ، وقد قال الله تعالى : (گ گ گ گ گ گ گ گگگگ گ ں ں ڻ)[1]، والقرآنُ محفوظٌ من اللحن والزيادة والنقصان» [2].

وقلنا : إن بعض مبغضيها هم الذين نسبوا إليها هذا الزعم ، لأن هذا الزعم نُسِبَ إلى سيدنا عثمان بن عفان ا ، ورده ابن تيمية أيضًا فيما نقله عنه ابن هشام ، قال: قال / : وقد زعمَ قوم أن قراءة من قرأ « إن هذان » لحن ، وأن عثمانَ ا قال : « إن في المصحف لحنا ، وستقيمه العربُ بألسنتها »، وهذا خبرٌ باطلٌ لا يصحُّ من وجوه :

أحدها : أن الصحابةَ ي كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات ، فكيف يُقرونَ اللحنَ في القرآن مع أنهم لا كُلفةَ عليهم في إزالته ؟

والثاني : أن العربَ كانت تستقبحُ اللحنَ غايةَ الاستقباح في الكلام ،

---

(١) فصلت : ٤٢ .

(٢) شرح شذور الذهب ٥١ .

`

فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟

والثالث : أن الاحتجاجَ بأن العربَ ستقيمه بألسنتها غيرُ مستقيم ، لأن المصحفَ الكريمَ يقفُ عليه العربيُّ والعجميُّ .

والرابع : أنه قد ثبتَ في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب (التابوت) بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه من ذلك ورفعوه إلى عثمانَ ي وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش، ولما بلغ عمر ا أن ابنَ مسعود ا قرأ (عتّى حينٍ) - بالعين - على لغة هذيل أنكرَ ذلك عليه وقال : أقرئ الناسَ بلغة قريشٍ فإنَّ الله تعالى إنما أنزله بلغتهم ولم يُنزِلْهُ بلغةِ هذيلٍ» (١).

ومن هذا كله نتبين أنه لا صحةَ لهذا القول سواءً نُسِبَ إلى سيدنا عثمان أم إلى السيدة عائشة ب وتابعَ ابنُ هشامٍ حديثَهُ بعدَ ذلك نافيًا عنها ما نُسِبَ إليها أيضًا مما يُعتَقدُ أن مبغضيها انتحلوه عليها ، قال ابن هشام : « وإنما المرويُّ عن عائشة ما رواه الفراء عن أبي معاويةَ عن هشامِ بنِ عروةَ عن أبيه أنها ل سُئلتْ عن قوله تعـــــــــالى ســـــــــورة النســــــــاء
(ﯾ □) بعد قوله : (□ □)، وعن قوله تعالى في المائدة(ﯙ

---

(١)شرح شذور الذهب ٥١ ، وانظر روح المعاني ٢٢٣/١٦ .

ۆ ۆ ۈ ۈ) وعن قولـهِ تعالى في سورة طـه (□ □ □)
فقالت : يا ابن أخي هذا خطأ من الكاتب » [١] .

وردَّ ابنُ هشامٍ ذلك قائلًا : « روى هذه القصةَ الثعلبيُّ وغيرهُ من المفسرين ، وهذا أيضًا بعيدُ الثبوت عن عائشةَ ل، فإن هذه القراءاتِ كُلُّها موجهةٌ ... وهي قراءةُ جميعِ السبعة في : المقيمين والصابئون ، وقراءةُ الأكثر في : إن هذان ، فلا يتجه القولُ بأنها خطأٌ لصحتِها في العربية وثبوتِها في النقلِ » [٢] .

ومن المفيد جدًّا أن نذكرَ ما ذكره الآلوسي نقلًا عن ابن أشتة من تفسير متميز حول لفظة « الخطأ » الواردة في قول عائشة ل ، قال الآلوسي : « وأما الخبرُ السابق عن عائشة فقد أجاب عنه ابنُ أشتة ، وتبعه ابنُ جُبارةَ في شرح الرائية بأن قولَها : أخطأوا، على معنى أخطأوا في اختيار الأَوْلى من الأحرف السبعة لجمعِ الناس

---

(١) شرح شذور الذهب ٥١ ،وانظر مزيداً من الردود على من أثبت رواية عثمان وعائشة في كتاب الدكتور عبد الفتاح سليم "المعيار في التخطئة والتصويب ،١٨٨.

(٢) شرح شذور الذهب ٥١ ، وانظر القول أيضا في الإنصاف ٤٧١/٢ ، وقد حاول الأنباري الدفاع عن هذا القول فقال بعد ذكره له ونسبته إلى السيدة عائشة : « وروي عن بعض ولد عثمان أنه سئل عنه فقال : إن الكاتب لما كتب : وما أُنزِلَ من قبلك ، قال: ما أكتب ؟ فقيل له : اكتب : والمقيمين الصلاة ، يعني أن المُمْلي أعملَ قوله اكتب في المقيمين على أن الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ما قبلها ، فكتبها على لفظ المملي » ، وانظر مزيدًا من هذا في معاني القرآن للفراء ١٨٣/٢ ، والكشف لمكي ١٠٠/٢ ، والكشاف ٢٧١ ، والمحرر الوجيز ٢٩٠/٤ ، والبحر ٣٩٥/٣ .

عليه ، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأٌ لا يجوزُ، فإن ما لا يجوزُ من كل شيء مردودٌ بالإجماع وإن طالتْ مدةُ وقوعه ، وبنحو هذا يُجابُ عن أخبارٍ رُوِيتْ عنها أيضًا » [1] ، وانتقل الآلوسي أيضًا إلى تفسيرِ اللحن الوارد في كلامها أيضا ، فنقل عن ابن أشتة أيضًا قوله : إن المراد باللحن هنا اللغة [2].

وكانت ل وقَّافةً عند الحق ، فربما اجتهدتْ ثم تراجعتْ إن ظهرتْ لها الحجة أو بان لها دليل ، يدلنا على ذلك أنها ردتْ ومعها سعدُ بنُ أبي وقاص وابنُ عباس وابنُ عمر [3] قراءةَ علي وأبي الدرداء وأبي هريرة وجماعة لقوله تعالى : **(ﮯ ﮰ ﮱ)** [4] فقد قرأ هؤلاء **(ﮯ ﮰ ﮱ)** بهاء الضمير ، وجن فعل ماض ، والهاء ضمير النبي ق، أي عندها ستره إيواءُ اللهِ تعالى وجميلُ صنعه ، وقيل : ضمه المبيتُ والليلُ ، وقيل : جنه بظلاله ودخلَ فيه [5] ، على أن المأوى مصدرٌ ميمي أو اسمُ مكان [6] ، لكن

---

(١) روح المعاني ٢٢٣/١٦ ، ورواية الخبر فيه عن عائشة أنها قالت : يا ابن أخي هذا عملُ الكتاب أخطأوا في الكتاب.

(٢) روح المعاني ٢٢٣/١٦ بتصرف يسير .

(٣) البحر المحيط ١٥٩/٨ .

(٤) النجم ١٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٣ .

(٦) روح المعاني ٥١/٢٧ .

`

السيدة عائشةَ ل ومن معها رَدُّوا هذه القراءة وقالوا : أجنَّ الله من قرأها ، أي جعله مجنونًا أو أَدخله الجَنَنَ وهو القبر [1] ، وإنما ردت ل هذه القراءةَ لأن المستعملَ كما قال أبو البقاء هو أَجنَّه وليس جَنَّهُ،أي أن جَنَّه- كما قال الآلوسي-بمعنى ستره شاذ والمستعمل أَجنه[2]، والظاهر أنها ل كانت تذهب إلى أن المعنى هو جنةٌ من الجِنَانِ ، وهذا المعنى يتفق مع قراءة الجمهور « ﮕ ﮖ » بالتاء، قال الفراء مشيرًا إلى ذلك:«وحدثني بعضُ المشيخةِ عن العرزَمي عن ابن أبي مُليكة عن عائشةَ أنها قالت : جنة من الجنان »[3] ، وإلى مثل هذا ذهبَ ابن عباس أيضًا ، قال النحاسُ بعد ذكره أسماءَ الصحابةالذين أنكروا هذه القراءة « وقال ابن عباس : هي مثل جنات المأوى» [4]، وعلق النحاسُ قائلًا : « فهذه حجةٌ بينةٌ مع إجماع الجماعة الذين تقوم بهم الحجة » [5] ، أي على إنكارها ، ثم عرَّجَ على ما قد يُظَنُّ أن السيدةَ عَائشة والمنكرين لهذه القراءة بنوا إنكارهم على ذلك قال : « وأيضًا فإنه يقال: أَجنه الليلُ ، وَجَنَّ

(١) انظر البحر المحيط ١٦٠/٨ ، وفي روح المعاني ٥١/٢٧ أنها قالت ل : من قرأ به فأجنه الله تعالى ، أي جعله مجنونا..إلخ.

(٢) التبيان للعكبري ١١٨٧/٢ ، وروح المعاني ٥١/٢٧ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٩٧/٣ .

(٤) أي مثل قوله تعالى في سورة السجدة (١٩) : « فلهم جنات المأوى نزلا »، وانظر البحر المحيط ١٦٠/٨ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٣ .

`

عليه ، ولغةٌ شاذةٌ جنَّهُ الليلُ » [١] ، ومراده أن جنه الليلُ شاذة لذا فالقراءةُ لا يعول عليها ، والظاهر أن السيدةَ عَائشة ل بعد إنكارها القراءة لأن جنه الليل ليست مستعملةً اطلعتْ على أن هناك من يقول - كما قال ابن جني - جنَّ عليه الليلُ وأجنه الليل ، وقالوا : جنه بغير همز ولا حرف جر [٢] ، مما دفعها إلى إجازة هذه القراءة بعد ذلك،قال أبوحيان:«وقيل:إن عَائشة-رضي الله تعالى عنها-أجازتها» [٣].

ولا بد أن نشير أيضًا إلى أنها ل لما كانت على معرفة تامة بأسباب النزول مع فقهها لكلام العرب ومراميه فقد امتلأت كتبُ التفسير بتفسيراتها لكثير من الآيات القرآنية ، من ذلك ما نقله الفراءُ عنها في تفسيرها اللغو في قوله تعالى(**ﭑ ﭒ ﭓﭔ**)[٤] ، إذ فسرت اللغو بأنه ما جرى في كلام العرب من قولهم : لا والله ، وبلى والله، وقد قوى الفراءُ رأيَها بعد ذكره مع غيره من الآراء بقوله : « وكان القولُ الأولُ - وهو قولُ عائشةَ - إن اللغو ما

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٣ .

(٢) المحتسب ٢٩٣/٢ .

(٣) البحر المحيط ١٥٩/٨ ، وروح المعاني ٥١/٢٧.

(٤) البقرة ٢٢٥ .

يجري في الكلام على غير عَقْدِ أشبهَ بكلامِ العرب » [١] ، وقوى أبو جعفر النحاس أيضًا قولَها بعد ذكره أقوالًا أخرى قائلًا: وأَولَى هذه الأقوال قولُ عائشةَ لأن يحيى القطان قال : حدثنا هشام بن عروة ، قال : أخبرني أبي عن عائشةَ في قوله: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ) قالت : نزلت في قول الرجل : لا واللهِ، وبلى واللهِ ، فهذا إخبار منها عن علمها بحقيقة ما نزلت فيه هذه الآية [٢] ، وواضح أن النحاس أيد ما ذكرته السيدة عائشة في تفسيرها لتميزه بذكرِ سبب رأيها ، ومثل ذلك أيضًا ما نقله عنها في قوله تعالى (ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ [٣] قال: « ورُوِيَ عن عائشةَ أن الرجلَ كان يطلق امرأته ثم يقول : واللهِ لا أُورِّثُكِ ولا أَدعُكِ ، قالت : وكيف ذاك؟

قال : إذا كنت تقضينَ عُدَّتَكِ راجعتُكِ ، فنزلت (ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ) .

قال أبو جعفر : وهذا من أجودِ هذه الأقوال لمجيئها بالعلة

(١) معاني القرآن للفراء ١٤٤/١ .

(٢) معاني القرآن ١٨٩/١.

(٣) البقرة ٢٣١ .

التي أنزلتْ من أجلها الآية [١] .

ولا ريب أن تفسيراتِها المتجهةَ عند أهل التفسير تلك التي اعتمدتْ فيها على بيان علة ما ذهبتْ إليه على نحو ما ذكرنا سابقًا، انضاف إليها فهمها لكلامِ العرب وأساليبهم اللغويةِ مما جعل أقوَالها عند المفسرين في المنزلة العالية، مثال ذلك : ما ذكره المفسرون عند قوله تعالى : **(ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ)** [٢] فقد فَهِم عروةُ بنُ الزبير أن ترك الطواف بينهما جائز ، قال عروة لعائشة : ما أرى على أحدٍ لم يطفْ بين الصفا والمروة شيئًا ، وما أُبالي أَلاَّ أطوف بينهما ، فقالت : بئسَ ما قلت يا ابن أخي ، طاف رسولُ الله ق وطافَ المسلمون وإنما كان من أهلّ لِمنَاة الطاغيةِ التي بالمُشَلّلِ [٣] لا يطوفون بين الصفا والمروة ، فأنزلَ الله تعالى : **(ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ**

(١) معاني القرآن ٢١١/١ ، وانظر مثل ذلك في ٢٠٧/٤ ـ ٢٦٨/٦ ، وانظر أيضًا إعراب القرآن للنحاس ٥٨٩/٢ والعقد الفريد ٢٨٠/٢ .

(٢) البقرة ١٥٨ .

(٣)المشلل : جبل .

`

ﮔﭙ) [١]، وعلق القرطبي قائلًا « ولو كانت كما يقول لكانت فلا جناح عليه أَلا يطوفَ بهما ، قال الزُّهري : فذُكِرَ ذلك لأبي بكر بنِ عبد الرحمن بنِ الحارثِ بنِ هشام فأعجبه ذلك وقال :إن هذا لَعِلمٌ » [٢] .

وعرضَ ابنُ العربي لهذه المسألة فقال : « وتحقيقُ القولِ فيه أن قولَ القائل: لا جناحَ عليك أن تفعلَ ، إباحةُ الفعل وقوله : لا جناحَ عليك أَلاَّ تفعَل إباحةٌ لتركِ الفعل ، فلما سَمِعَ عُروةُ قولَ الله تعالى (ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) قال هذا دليلٌ على أن ترك الطواف جائز ، ثم رأى الشريعةَ مطبقةً على أن الطوافَ لا رخصةَ في تركه ، فطلبَ الجَمع بين هذين المتعارضين ، فقالت له عائشة : ليس قولُه (ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) دليلًا على تركِ الطواف ، إنما كان يكون الدليلُ على تركه لو كان : فلا جناحَ عليه ألا يطّوّف بهما ، فلم يأتِ هذا اللفظُ لإباحةِ تركِ الطوافَ ولا فيه دليلٌ عليه ، وإنما جاء لإفادةِ إباحةِ الطوافِ لمن كان يتحَّرجُ منه في الجاهلية ، أو لمن كان يطّوّفُ به في الجاهلية قصدًا للأصنام التي كانت فيه، فأعلمهم الله سبحانه أن الطوافَ ليس بمحظورٍ إذا

---

(١)البقرة ١٥٨ ، وانظر الجامع للقرطبي ٤٧/٢ ، وانظر تخريج الحديث في هامش المصدر المذكور .

(٢)الجامع ٤٧٠/٢ ، والإجابة ١٤٣ .

لم يقصدِ الطائفُ قصدًا باطلًا » [١] ، ووضح الزركشي أيضا ذلك بعد أن سرد القصة فقال : « فقالت له عائشة ل : لو كان الحرجُ في الترك وأريد نفيُه كان : لا جناح ألا يطوفَ ، لكن الحرج كان في الفعل فقيل : لا جناح أن يطوف » [٢] .

ولا شك أن ما ذكروه من تفسيرها لهذه الآية يدل على مدى فهمها لكلامِ العرب ودلالاتهم التي يرومونها من كلامهم ، فكأن ما ذكره ابنُ العربي والزركشي وغيرهما من التفريق بين أسلوبي لا جناح عليك أن تفعل ولا جناح عليك ألا تفعل ، كان في خلدِها وعَقْلِهَا حين أجابتْ عروةَ بنَ الزبير ب .

وقد نوه إلى ذلك ابن العربي مبينًا رقي سليقتها اللغوية حين قال « قال الفراء : معنى قول الله (ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ) معناه أن يطوف وحرف « لا » زائدة وهذا ضعيف من وجهين :

أحدهما: أنا قد بينا في مواضع أنه يبعد أن تكون « لا زائدة »

(١) أحكام القرآن ٤٧/١ ، والجامع ٤٧٦/٢ .

(٢) الإجابة ١٤٤ .

الثانـي: أنه لا لغوي ولا فقيه يعادل عائشة ل ، وقد قررتها غير زائدة وقد بينت معناها فلا رأي للفراء ولا لغيره [١] .

ولا شك أن قوةَ آرائها وبخاصة تلك الآراءِ التي شاركها فيها صحابةٌ آخرون صارتْ فيما بعد معتمدةً من قبل الفقهاء، من ذلك ما ذكره أبو حيان في تفسير قولهِ تعالى: **(ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې)** [٢] فبعد أن أورَدَ عددًا من الأقوال المبينة لمقدار الطعام ، قال : ورُوِيَ عن عمَرَ وعليٍّ وعائشةَ نصفُ صاعٍ من بُرٍّ أو صاعٍ من تمرٍ ، وأضاف قائلًا : وبه أخذ أبو حنيفة [٣] .

***

(١) أحكام القرآن ١ / ٤٧ .

(٢) المائدة ٨٩ .

(٣) البحر ٤/١٠ .

`

المبحث الخامس
آثارها في النحو والصرف

نظر النحاةُ إلى أقوالِ السيدةِ عَائشة ل وأَولَوْهَا عنايةً خاصةً فهي التي عاشتْ نزولَ القرآن، وسألت عن معانيه وتفسيراته، ووقفتْ على أسراره ، وهي التي اكتملت عندها الفصاحةُ والبلاغةُ مما جعل أقوالَها تمثل مستوىً لغويًّا متميزًا صالحًا لبيان وجهٍ من وجوهِ العربِية ، فبعضُ أقوالها جاء تأصيلًا لبعض القواعد وبعضٌ آخر أظهرَ النحاةُ وجهَه العربيَّ .

فمن أقوالها التي استند إليها النحاةُ في تأصيلِ بعض القواعد أو توجيهها ما يأتي:

- قولُها ل في أبيها:**((إن أبا بكرٍ رجلٌ أسِيفٌ ، متى يَقُمْ مقَامَك رقَّ))** [1]، ذكره ابن مالك في شواهد التوضيح مع الحديث الشريف « من يقم ليلةَ القدر غُفِرَ له » للدلالة على أن فعل الشرط قد يقع مضارعًا والجوابَ ماضيًا ، قال ابن مالك بعد إيراده ذلك: والنحويون يستضعفونَ ذلك ويراه بعضُهم مخصوصًا بالضرورة ، والصحيحُ الحكمُ بجوازه مطلقًا لثبوته في كلام أفصح الفصحاء وكثرة صدوره عن فحول الشعراء ، كقول نهشل بنِ ضَمْرةَ :

---

(١)شواهد التوضيح ١٤ ، وانظر موقف النحاة للدكتورة خديجة الحديثي ٢٤٧ .

`

يافارسَ الحيّ يومَ الروعِ قَدْ عَلِموا ومِـدْرَهَ الخصـمِ لا نِكسًـا ولا وَرَعا

ومُـدرِكَ التَّبـلِ فـي الأعـداءِ يطـلُبُه ومـا يَشَـأ عـندهُمْ مِـن تَـبْلِهِمْ مَنـَعَا

وساق عددًا من الأشعار وأردفها بالقياس تأييدًا منتهيًا إلى جواز ذلك (١) .

وثمة رواية أخرى لقولها هي : **متى يقومُ مقامكَ لا يُسمعُ الناسَ** ، فقد استدلَّ بها ابنُ مالك على تشبيه متى بإذا مع إهمالها كما أن إذا تُشبه بمتى فأُعملتْ ، وعليه يُخَرَّجُ قولُ الرسول ق لعلي وفاطمـــة ل :

« **إذا أخذتُما مَضاجِعَكُما تكبِّرا أربعًا وثلاثين وتُسبِّحا ثلاثًا وثلاثين وتحمَدا ثلاثًا وثلاثين** » ، وعقَّبَ ابنُ مالك بعد ذلك فقالَ : وهو في النثر نادرٌ وفي الشعر كثير (٢) .

- قولُها ل : **((إن يقمْ مقامك يبكي))** ، بإثبات ياء يبكي ، والوجهُ جزمُها بحذفها لأنها مجزومةٌ بإن ، وقد صدَّر ابنُ مالك قولَها بقراءة قُنبل : « إنه من يتقي ويصبرْ فإنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ

---

(١) شواهد التوضيح ١٤- ١٧ ، وانظر شرح الأشموني ١٧/٤ ، وإعراب شواهد الأوضح ٦٤٢/٢ .

(٢) شواهد التوضيح ١٤- ١٧ .

المحسنين » [1] ، وبقول الشاعر :

ألم يأتيكَ والأنباءُ تَنمي بما لاَقتْ لَبونُ بني زيادِ

ومراده من سرد ذلك كله أن المعتل يَجري مَجْرى الصحيح فيما آخره ياءٌ، وهو كثيرٌ ويُعرف بالحركة المُقدّرة [2] .

- قولُها ل في باب المحصَّبِ : **((إنما كان منزلٌ يَنْزِلُهُ النبيُّ ق))**، تعني المحصَّب ، قال ابنُ مالكٍ : « قلتُ في رفعِ منزل ثلاثةُ أوجهٍ :

أحدها : أن تجعلَ ما بمعنى الذي ، واسم كان ضميرٌ يعود على المحصَّبِ، والتقدير : إن الذي كان المحصَّبُ منزلٌ يَنْزِلُهُ رسولُ الله ق، ثُمَّ حُذِفَ خبرُ كان لأنه ضميرٌ متصلٌ كما يُحذَفُ المفعولُ به إذا كان ضميرًا متصلًا ويُستغنى بنيته كقولك : زيدٌ ضربَ عمرٌو تريد ضربه عمرٌو ...

والوجه الثاني : أن تكون ما كافة ويكون منزلٌ اسم كان وخبرها ضميرٌ عائد على المحصَّبِ فحُذِفَ الضميرُ واكتَفى بنيته .

والثالث : أن يكون منزلٌ منصوبًا في اللفظ ، إلا أنهُ يُكَتبُ بلا ألفٍ

---

(١) يوسف ٩٠ .

(٢) شواهد التوضيح ٢١ ، وموقف النحاة ٢٤٨ .

`

على لغةِ ربيعة ، فإنهم يقفون على المنصوبِ المنونِ بالسكون ، وحُذِفَ التنوينُ بلا بدل» (١) .

- قولُها ل : (**(وأما الذين جمعوا بين الحجِّ والعمرةِ طافوا طوافًا واحدًا)**) ، والمعلوم أن جواب أما يجب أن يقترن بالفاء لربط الجواب بالشرط ، وأوجب النحاةُ حذفَها إذا دخلتْ على مقول محذوف ، لأن المحكيَّ بهذا القول يُغني عنه وذلك كقوله تعالى : (**ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ**) (٢) ، والتقدير : فُيقالَ لهم : أَكفرتم ؟ أما حذفُ الفاء في غير ذلك فهو نادر في النثر وضرورةُ في الشعر ، فمن النثر قولُ عائشةَ الذي ذكرناه ، ومثلهُ قولُ الرسول ق « **أما بعد ما بالُ رجال يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله ؟** »

وقولهُ ق« **أَمَّا موسى فكأني أنظُرُ إليه إذا انحدر في الوادي** » (٣) ووجه الصبان ما ورَد توجيهًا يجعل هذا المسموعَ منسلكًا ضمنَ القاعدة المطردة، قال :« يجوز أن يكون مما حذف فيه الفاء تبعا للقول ، والتقدير: فأقول ما بال رجال ... و فأقول كأني أنظر

---

(١)شواهد التوضيح ٣٦ .

(٢) آل عمران ١٠٦ .

(٣)شواهد التوضيح ١٣٦ .

`

إليه وفأقول طافوا طوافًا واحدًا » [١] ، ولذا يجوز ـ بناءً على ذلك ـ حملُ ما ظاهره أن الفاء محذوفة بعد أما على أنها داخلةٌ على قول محذوف فتطرد بذلك القاعدة .

ـ قولُها ل :((**شبهتمونا بالحُمُر والكلاب))** ، حيث عدت الفعلَ شبَّهَ إلى مفعولين الأول الضمير والثاني بالحمر ، قال ابن مالك : قلت : المشهور تعدية شبه إلى مشبه ومشبه به دون باء [٢]

.

ـ قولها ل: **((كان يصلي جالسًا فيقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته نحوٌ من كذا ...))** ، قال ابن مالك : « من رَوى نحوٌ من كذا بالرفع فلا إشكال فيه » أي هو فاعل الفعل بقي ، ثم قال : « وإنما الإشكال في رواية من روى نحوًا بالنصب ،وفيه وجهان :

أحدهما : أن تكون من زائدة ، ويكون التقدير : فإذا بقي قراءتُه نحوًا ، فقراءته فاعل (بقي) ، وهو مصدرٌ مضاف إلى الفاعلِ ناصبٌ نحوًا بمقتضى المفعولية .

والثاني : أن يجعل من قراءته صفةً لفاعلِ (بقي) قامتْ مقامه

---

(١)حاشية الصبان ٤٥/٤ ، وإعراب شواهد الأوضح ٦٨٣/٢ ، وانظر الحديث النبوي للدكتور محمود فجال ٢٩٦ .

(٢)شواهد التوضيح ٩٥ .

لفظًا ونوي ثبوته ، ويجعل (نحوًا) منصوبًا على الحال ، والتقدير : فإذا بقي باق من قراءته نحوًا من كذا »[1]

ومن المفيد في هذا أن ابن مالك رجَّحَ قولَ الأخفش في ذهابه إلى زيادة من في الإيجاب على قول سيبويه المانع لذلك ، قال ابنُ مالكٍ بعد ذلك : وبقوله - أي بقول الأخفش – أقولُ لثبوت زيادتها دون الشرطين نثرًا ونظمًا ، فمن النثرِ قولُه تعالى:(ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ) [2]، (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) [3] » [4]، وأورد بعد ذلك قولَ عائشة وأَتبع ذلك بسرد أبياتٍ شعريةٍ جاءتْ فيها (من) محتملة الزيادة [5] .

- قولُها ل : **((لقد رأيتُنا مع رسول الله ق ومالنا من طعامٍ إلا الأسودان))**[6] .

(١)شواهد التوضيح ١٢٥ .

(٢)الكهف ٣١ .

(٣)الحج ٢٣ .

(٤)شواهد التوضيح ١٢٦ .

(٥) شواهد التوضيح ١٢٦ .

(٦) شواهد التوضيح ١٤٦ - ١٤٧ .

`

استدل به ابن مالك على جواز إجراء رأى البصرية مجرى رأى القلبية في أن يُجمعَ لها بين ضميري فاعل ومفعول لمسمى واحد ، كرأيتُنا ورأيتُني ، وكان حقه - كما قال ابن مالك - ألا يجوز كما لا يجوزُ أبصرتُنا وأبصرتُنِي ، لكن حُمِلتْ رأى البصرية على رأى القلبية لشبهها بها لفظًا ومعنى ، ومن الشواهد الشعرية على ذلك قول قطري بن فجاءة :

ولقد أَراني للرماحِ دريئةً   مِنْ عنْ يميني تارةً وأمامي[(١)]

وذكرت الدكتورة خديجة الحديثي أن أبا حيان عرضَ لقولِ عائشة هذا رادًّا به على من زعم أن رأى إذا كانت بصرية تعدتْ إلى اثنين ، واستدلَّ على ذلك بهذا القول ، قال أبو حيان : « لا حجةَ فيه إذ هو بمعنى العلم ، أي قد علمتنا ، ورأى تستعمل بمعنى علم فتكون إذ ذاك من أفعال القلوب،ولا تجعله مما حمل على الشاذ الذي لا يقاس عليه »[(٢)].

- قولُها ل :((**صلَّى رسولُ الله ق وهو شاكي**)) ، بإثبات الياء في الوقف، وقد وجهها ابن مالك بأنها كقراءة ابن كثير في هاد [(٣)]،

---

(١) شواهد التوضيح١٤٦_ ١٤٧ .

(٢) موقف النحاة للحديثي ٣٢٢ .

(٣) الرعد ٧ .

ووال [١] ، وواق [٢] ، وباق [٣][٤] .

- قولُها ل : **((أقولُ ماذا))** ؟ قالَ ابنُ مالك : « وفي أقولُ ماذا شاهدٌ على أن ما الاستفهامية إذا ركبت مع ذا تفارقُ وجوبَ التصدير ، فيعملُ فيها ما قبلها رفعًا ونصبًا ، فالرفع كقولهم : كان ماذا ، والنصب كقول أم المؤمنين ل : أقول ماذا » [٥] .

- قولُها ل: **((فدخلَ النبيُّ ق قال : أَعندكم شيءٌ ؟ قالت : لا ، إلا شيء بعثتْ به أُمُّ عطيةَ))**. وقد وجَّهَ ابنُ مالك ذلك بجعلِ شيء بدلًا ، قال : « وفي قولِ عائشَةَ ل ... شاهد على إبدال ما بعد إلا من محذوف ، لأن الأصلَ لا شيءٌ عندنا إلا شيءٌ بعثت به أم عطية » [٦] .

- قولُها ل : **((ودخلَ رسولُ الله ق وبُرمة على النار))** . استدلَّ به ابنُ مالك على جواز الابتداء بالنكرة المحضة إن سُبِقتْ

---

(١) الرعد ١١ .

(٢) الرعد ١٣ .

(٣) النحل ٩٦ .

(٤) شواهد التوضيح ١٨٩ .

(٥) شواهد التوضيح ٢٠٦ .

(٦) شواهد التوضيح ٢٠٥ .

بـواو الحال،وأيـد ذلـك أيضًـا بقولـه تعـالى: (ﭙ ﭚﭛ) [1]، وأوردَ أمثلةً كثيرةً لجواز ذلك [2] .

- قولُها ل : **((إنْ كـانَ رسـولُ الله ق يحـب التَّيمُّنَ))** ، استدل به ابن مالك على استعمال إن المخففة المهملة عاريًا ما بعدها من الـلام الفارقـة لعـدم الحاجـة إليهـا [3] ، وسـاق عـددًا مـن الشـواهد النثريـة والشـعرية منتهيًـا إلـى القـول « وقـد أغفـل النحويـون التنبيـهَ علـى جـواز حـذف الـلام عنـد الاسـتغناء عنهـا بكـون الموضـع غيَـر صـالحٍ للنفـي ، وجعلوهـا عنـد تـرك العمـل لازمـةً علـى الإطـلاق ليجري الباب على سنن واحد ، وحـاملُهم علـى ذلـك عدمُ الاطـلاع على شواهد السماع ، فبينت إغفالهم وأثبت الاحتجاج عليهم لا لهم » [4] .

- قولها ل : **((ثم يَصُبُّ على رأسه ثلاثَ غُرَفٍ))** ، استدلَّ بـه ابـنُ مالـك علـى جـواز اسـتعمال جمـع الكثـرة مكـانَ جمـعِ القلـة فـي أسـماء العـدد، قـال : « وأمـا قـولُ عائشـة ل ... فالقيـاس عنـد البصريين أن يقال : ثلاث غرفات ، لأن الجمعَ بالألف والتاء جمعُ

---

(١) آل عمران ١٥٤ .

(٢) شواهد التوضيح ٤٦ ، وانظر موقف النحاة للحديثي ٢٦٩ .

(٣) شواهد التوضيح ٥٢ ، وانظر موقف النحاة للحديثي ٢٧ .

(٤) شواهد التوضيح ٥٢ .

قلة ، والجمع على فُعَلٍ عندهم جمعُ كثرة ، والكوفيون يخالفونهم فيرون أن فُعَلًا وفِعَلًا من جموع القلة ، ويعضد قولَهم قولُ عائشةَ ل : ثلاثَ غرفٍ ، وقولُ الله تعالى : **(ﭙ ﭚ ﭛ)** [(١)] ، ويعضد قولَهم في (فِعل) قوله تعالى : **(ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ)** [(٢)] ، فإضافة ثلاث إلى غرف وعشر إلى سور وثماني إلى حِجج مع إمكان الجمع بالألف والتاء دليلٌ على أن فُعَلًا وفِعَلًا جمعا قلة للاستغناء بهما عن الجمع بالألف والتاء » [(٣)] ، وانتهى من ذلك كله إلى القول : « والحاصل أن ثلاثَ غرفٍ إن وُجّه على مذهب البصريين ألحق بثلاثة قروء ، وإن وجه على مذهب الكوفيين فهو واردٌ على مقتضى القياس » [(٤)] .

- قولُها ل : ((**فجلَس رسولُ الله ق ولم يجلسْ عندي من يوم قيل فِيَّ ما قيلَ**)) ، استدل به ابن مالك على جواز استعمال (من) لابتداء غاية الزمان وأردفه بكثير من الشواهد الدالة على جواز ذلك وهو مذهب الكوفيين [(٥)] .

---

(١) هود ١٣ .

(٢) القصص ٢٧ .

(٣) شواهد التوضيح ٩١ ، وانظر موقف النحاة ٢٧٨.

(٤) شواهد التوضيح ٩١ .

(٥) شواهد التوضيح ١٣١ .

`

- قولُها ل : **((كان النبيُّ ق ينزلُ عليه الوحيُ وأنا وإياه في لِحَافٍ))** ، وقد استشهد به ابنُ مالك على جواز نصب إياه على المفعول معه والناصب له فعل الكون المقدر والتقدير وكنت وإياه في لحاف ، قال ابن مالك نقلًا عن ابن خروف : كأنها قالت : وكنت و إياه في لحافٍ ، وأضاف ابن مالك قائلًا « ويجوز عندي أن يكون إياه في موضع رفع عطفًا على أنا على سبيل النيابة عن ضمير الرفع كما ناب عن ضمير الجر فيما حكى الفراء من قول العرب : مررت بإياك ..

وكما ناب ضمير الرفع عن ضمير الجر في قول بعض العرب وقد سُئِلَ عن الصعلوك: هو القَذاةُ كأنا، وهذا ليس ببدع ، لأن أصلَ المبنيِّ ألا يُخَصَّ بموضع من الإعراب دون موضع، والمضمرات من المبنيات فلا يُستبعَدُ ذلك فيها » [(١)] غير أن ابن مالك بعد أن وجَّه قولَه ذكَر أن حملَ كلامه على المفعول معه أولى لتعضيده بحديث نبوي شريف وهو قولُه ق : « **أبشروا فوالله لأنا وكثرةَ الشيء أخوفُ عليكم من قِلته بنصب وكثرة** » [(٢)] ، لكن أبا حيان لم يرتض كلَّ ذلك لأنه ممن لا يَحَتجُّ بالأحاديث النبوية

---

(١)شرح التسهيل ٢٥٩/٢ ، والتذييل والتكميل ١٢٩/٨ .

(٢)شرح التسهيل ٢٦٠/٢ .

الشريفة على القواعد النحوية لرواياتها بالمعنى قال : « وينبغي أَلاَّ تُبنى على مثل هذه الآثار قاعدةُ نحوٍ لجواز النقل بالمعنى، فلا يتعين أنه لفظُ عائشةَ ولا لفظُ الرسولِ ولكونِ الرُّواةِ قد يلحنون [1].

وما ذكره أبو حيان لا يتجه :

١- لأن ابنَ مالكٍ لم يبنِ قاعدةً وإنما وجه الحديثَ وفق ما يتفقُ مع القواعدِ المقررة والأصول المعتبرة .

٢- ولأنه قد بات في حكم المؤكد أن الاستدلالَ بأحاديث الرسول وأقوالِ الصحابة على القواعد النحوية جائزٌ عند كثير من النحويين القدماء، ووفقَ قراراتِ المجمع القاهري ودراسات المحدثين لهذه القضية .

- **قولها : ((إذا ذُكِرَ الصالحون فَحَيَّهَلَ بعمرَ))** . ذكره ابن هشام للاستدلال على أن اسم الفعل قد يأتي مشتركا بين أفعال مختلفة بعضها لازم وبعضها متعد بنفسه أو بحرف من حروف الجر ، وحينئذ يعامل معاملة الفعل من حيث التعدي واللزوم ، ففي قولها عُدِّي اسم الفعل حيّهل بالباء ، فقالت : حيهل بعمر ، لأن حيهل معناه أسرع ، والمعنى أسرعوا بذكر عمر بن الخطاب وعجلوا بذكره فإنه من أهل الصُّفَّة فعليكم به ، والفعل أسرع يتعدى

---

(١) التذييل والتكميل ١٣٠/٨ ، وانظر حاشية الصبان ١٣٨/٢ .

بالباء فكذلك ما أدى معناه وهو حيهل ، ويتعدى بعلى إذا كان بمعنى أقبل نحو : حيهل على الصلاة ، أي أقبل [1] .

- قولها ل : ((**ما رأَى مني ولا رَأَيتُ منه**)) . ذكره ابن هشام في باب التعدي واللزوم للاستدلال على أن المفعول به قد يُحذف لاستقباح ذكره والتقدير: ما رأى العورة مني ولارأيت العورة منه [2] .

ولم يقتصر أمرُ أقوالها على الجوانب النحوية التي تضمنتها فقد أفاد منها الدرس الصرفي أيضًا من ذلك :

- قولُها ل : ((**كانت إحدانا إذا كانتْ حائضًا فأرادَ رسولُ الله ق أن يباشرَها أَمرها أَنْ تَتَّزِرَ**)) [3] . ووضح ابن مالك ما جرى على لفظة اتزر بقوله « قلت : ما كان على وزن افتعل مما فاؤه واو أو ياء فإبدالُ فائه تاءً لازمٌ في اللغة المشهورة نحو اتصل واتسر .. فإن كانت فاءُ ما وزنه افتعل همزةً أُبدلتْ ياءً بعد همزةِ الوصل مبدوءًا بها نحو : ايتمر يأتمر وائتمارًا وألفًا بعد همزة

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ٢٥١٥٢ ، وشرح التصريح ١٩٩/٢ ، وإعراب الشواهد القرآنية في الأوضح ٥٥٨/٢ .

(٢) انظر القول في إتحاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدي ٢٧٤/٥ ، وشرح التصريح ٣١٤/١، وشرح الأشموني ٤٩/٢ ، وإعراب شواهد الأوضح ٢٨٧/١ ، وفي مسند الإمام أحمد (٢٤٣٤٤-٢٥٥٦٨) ما نصه « ما رأيت فرج رسول الله ق قط » أي بذكر المفعول .

(٣) أي تلبس الإزار .

المتكلم نحو : أَأْتمر ، وَسلِمَتْ فيما سوى ذلك نحو : يأتمر ائتمارًا فهو مؤتمر ، وقد يُشبهُ هذا النوع مما فاؤه واو وياء فيجيءُ بتاء مشددة قبل العين لكنه مقصورٌ على السماع كاتَّزرَ واتَّكلَ » (١) .

وثمة رواية أخرى جاء فيها : **يأمرني أن آتزر** ، ففيه شاهد على أنه إذا التقت همزتان في كلمة واحدة وكانت الأولى متحركة والثانية ساكنة، أبدلت الثانيةُ حرفَ علة من جنس حركة الأولى ، لئلا يجتمع في الكلمة همزتان مع عسرِ النطق أيضًا بالثانية ساكنةً من ذلك : آتزر ، أصلها أَأْتزر بهمزتين الأولى همزةُ المضارعة المفتوحة والثانيةُ فاءُ الفعلِ الساكنة ، فأُبدلتِ الثانيةُ ألفًا من جنسِ حركةِ ما قبلها ثم مدت فصارت آتزِرُ ، وأجاز البغداديون قلبَ الهمزةِ الثانية ياءً ، ثم إدغامَها مع تاء افتعل فتصيرُ اتّزر بالإدغام على وزن افتعلَ ، وعند الجمهور نقول في افتعل من الإزار: ايتَزَرَ ، ولا يجوز إبدالُ الياء تاءً وإدغامُها في التاء ، لأن هذه الياءَ بدلٌ من همزةٍ وليست أصلية ، لذا قال ابنُ هشام عن مذهب البغداديين: لا وجهَ له ، وقصره ابنُ مالكٍ من قبلُ على السماع (٢) .

وقد ضمن النحاة كتبهم كثيرًا من الأحاديث النبوية الشريفة ـ

---

(١) شواهد التوضيح ١٨٢ .

(٢) شواهد التوضيح ١٨٢ ، وشرح التصريح ٣٧٣/٢ ، وشرح الأشموني ٢٩٨/٤ ، والحديث النبوي للدكتور محمود فجال ٣٠٩ ، وإعراب شواهد الأوضح ٧٤٧/٢ .

علـى أنهـا شـواهد نحويـة ـ وهـي تتعلـق بالسـيدة عائشـة ل ووجهوها أيضاً ، من ذلك:

١ـ قولُ الرسول ق : « **إنـي لأعلـمُ إذا كنـتِ عنـي راضيـةً وإذا كنـتِ علـيّ غَضْـبَى** » سـاقه ابـن مالـك شـاهدًا علـى جـواز خـروج إذا عـن الشـرطية والظرفيـة إلـى الاسـمية المحضـة فتكون مفعولًا به كما هو الحـال فـي هذا الحديث ، فـإذا فيـه اسـم مبنـي علـى السـكون فـي محـل نصـب مفعـول بـه ، ورُدَّ هـــذا التخـــريجُ بأنهـــا مـــا تـــزال هنـــا ظرفًـــا والمفعـول محـذوف، وإذا متعلقـة بـه، والتقـدير : إنـي لأعلـمُ شأنكِ إذا كنتِ راضيةً [١] .

٢ـ قولُ النبي ق لها : « **يا عائشةُ لولا قومُكِ حديثو عهدٍ بكفرٍ لنقضتُ الكعبَةَ فجعلـت لهـا بـابين** » ، وقـد اسـتدل كثيـرٌ مـن النحويين بهذا القول على أن الخبر إذا كان كونًـا خاصًـا بعد لولا ولا يوجد في الكلام ما يدل عليه لا يجوز حذفه البتةَ بل يجب ذكره كما هو الشأن هنا ، فقومك مبتدأ وحديثو خبره ،

---

(١) شرح التسهيل ٢/٢١٠،والمغني ١٢٩وانظر تخريج المحققين للحديث في هامش المصدر المذكور .

وهو كونٌ خاصٌّ لكونه مقيدًا بالحداثة [١] .

والحق أن ابنَ مالك كان ماهرًا بارعًا في تخريج ما روته السيدة عائشةُ أو قالته ، في حين أن العُكبَري - قبل ابن مالك - سلك في كتابه إعراب الحديث النبوي الشريف طريقين مع ما روته أو قالته السيدة عائشة ل :

الطريق الأول:تخريجُ مروياتها وأقوالها على وجهٍ عربي واضحٍ، مثال ذلك:

- حديثها«**دخلتِ العَشْرُ** » قال :إنما أنث لأنها أرادت ليالي العشر ،لأن الليالي يُؤرَّخُ بها[٢].

- الحديث الذي روته المتضمِّنِ « **يا ليتني فيها جَذَعًا** » قال العُكبري : كذا وقع في هذه الرواية، والوجهُ جذَعٌ لأنه خبرُ ليت ، ويضعف أن يكون فيها الخبر لقلة فائدته ، وهكذا هو في الشعر :

يا ليتني فيها جَذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ

ثم قال : وللنصب وجه ، وذلك أن يجعل(فيها) الخبر و(جذعا) حال ، وتكون الفائدة حاصلةً من الحال [٣] ، وخرجه

---

(١) شواهد التوضيح ٦٥ ، وشرح التسهيل ٢٧٦/١ ، وشرح الأشموني ومعه حاشية الصبان ٢١٥/١ ، وانظر الحديث النبوي للدكتور محمود فجال ١٧٣ ، وإعراب شواهد الأوضح ١٦/١ ، وثمة رواية أخرى نصها : حديث عهدهم ، فعهدهم فاعل للصفة المشبهة حديث .

(٢) إعراب الحديث النبوي للعكبري ٣٣٠ .

(٣) إعراب الحديث النبوي ٣٣١ ، في الأصل : وللنصب وُجيْه .

بعض النحويين على مذهب من ينصب بليت الجزأين ، أو أنه خبر لكان المحذوفة مع اسمها ، والتقدير : ليتني أكون جذعًا [١] .

وعلى هذا النحو سار العكبري باذلًا جهدَه في توجيه مروياتها وأقوالها .

أما **الطريق الثاني** فهو إطلاق الحكم بالتخطئة من غير أن يوجِّه ، مثال ذلك :

- قولها « **فأما ما لم يكن صحيحًا ولا مريضًا ولا غائبًا ولا شاهدًا فركعتين قبلَ الفجرِ** » قال : وقولها : فركعتين بالياء خطأ ، بل الواجبُ أن تقولَ: فركعتان ، لأنه خبر ما،ولا معنى للنصب هنا ،وهذا مِثلُ قولك: أما زيدٌ فمنطلقٌ وأما الذي عندنا فكريم [٢].

والذي أحسبه أن العكبري قادر على تخريجه بأن يجعل التقديرَ : فأما مالم يكن يدع .. فصلاة ركعتين قبل الفجر ، وقد خرج نحو ذلك في حديثها « فضلُ الصلاةِ بالسواك على الصلاة بغيرِ سواك سبعينَ صلاةً» قال : كذا وقع في هذه الرواية والصواب سبعون ، والتقدير: فضلُ سبعينَ لأنه خبرُ فضل الأول [٣] .

وأشار المحقق في الهامش إلى ما ذهبَ إليه ابن مالك في

---

(١) عمدة القاري للعيني ١٣٠/٢٤ ، وانظر إعراب شواهد القطر ١٧٦ .

(٢) إعراب الحديث النبوي ٣٢٨ .

(٣) إعراب الحديث النبوي ٣٣٠ .

`

تخريجه هذا الحديث ، قال : « قال ابن مالك : أي فضلُ سبعين صلاةً ... ويجوز أن يكون الأصل بسبعين صلاة ، فحذفتِ الباءُ وبقي عملها » وأضاف المحقق قائلًا : ويجوز أن يكون حذف المضاف وبقي المضاف إليه على جره كقراءة « تريدون عرضَ الدنيا والله يريدُ الآخرةِ »»[١] بجر الآخرة .

ومهما يكن من أمر هذا المسلك فهو قليلٌ لا يكاد يذكر أمام ما وجهه العُكبَري من أقوالها ومروياتها على وجوه من العربية تُرتَضى .

ولقد ظلت مروياتُها وأقوالُها موضعَ اهتمام ونظرٍ عند العلماء ، ففي الأشباه والنظائر ذكر السيوطي سؤالًا وجهه الفقيه المغربي أبو بكر بن محمد بن عقبة إلى جلال الدين البُلقيني ضمنَ أسئلةٍ أخرى مضمونه: أين المخصوصُ بالمدح في قول عائشةَ : كان لنا جيرانٌ من الأنصارِ لَنِعْمَ الجيرانُ كانوا . فأجاب البُلقيني بعد تخريجِه قولَها وذكرهِ أقوالَ ابنِ مالك حولَ المخصوص بالمدح أو الذم بأن المخصوصَ هنا هو معمولُ كان المذكورُ قبل نِعْمَ ، أي

---

(١) إعراب الحديث النبوي ٣٣٠ (الحاشية) .

`

لنعْمَ الجيرانُ جيرانُنا من الأنصار ، ومثله قولُ الشاعر :

إذا أرسلوني عندَ تقديرِ حاجةٍ أمــارِسُ فيهــا كنــتُ نِعْــمَ المُمَــــــارِسُ[1]

(١) انظر الأشباه والنظائر للسيوطي ٥٦٠/٤ ، قال المحقق : والشاهد في البيت على ذكر المخصوص قبل نعم معمولا لكان ، وهو ضمير التاء في كنت هنا .

`

- **وفي العصر الحاضر** أفاد الأستاذ عباس حسن من لغة السيدة عائشة حين استشهد بكلامها على جواز مجئ جواب (لما) فعلًا ماضيًا مقترنًا بالفاء ، قال : « وقد رأيت الجواب ماضيا مقترنا بالفاء أو أنه محذوف في خطبة عائشة ل تدافع عن أبيها » ثم ذكر موضع الشاهد وهو قولها « **فلما انتاشَ الدِّين فنعشه ... فلما حضرته منيته فسدَّ ثلمة بنظيره ...** » [(١)] .

أما الدكتور محمود فجال فقد أفاد أيضًا من حديث روته عائشةُ للدلالةِ على جوازِ استعمال « كيف حالُكَ » لأن بعضَ المحدثين أنكرها بحجة أن كيفَ للحال ، فلا يُسألُ بها عن الحال ، قال الفجال :

« والعبارةُ صحيحةٌ والأدلةُ على ذلك : قالت عائشةُ ل : **جاءتْ إلى النبي ق عجوز فقال : مَنْ أنت ؟ قالت : جَثَّامَةُ المُزنيَّةُ ، قال : بل أنت حسانةُ المزنيَّةُ ، كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله** » [(٢)] .

---

(١) النحو الوافي ٢٩٨/٢ .

(٢) الصحيح والضعيف ١١٦ ، وقد خرجه المؤلف في هامش الصفحة المذكورة .

وأجاد أيضًا أحد الباحثين في كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى حين أفاد أيضًا من الحديث الذي روته عائشة وهو أنها قالت :

« **قلت : يا رسول الله على النساء جهادٌ ؟ قال : نعمْ، عليهنّ جهادٌ لا قتالَ فيه ، الحجُّ والعمرةُ** » فأعرب الحج خبرا لمبتدأ محذوف أي هو الحج، وأجاز أن يكون بدلا من جهاد ، أما جملة المبتدأ والخبر وهي : هو الحج ، فقال عنها : هي استئناف بياني لا محل لها من الإعراب ، قال : لجواز وقوعها جوابا لسؤال مقدر فكأنها قالت بعد لا قتال فيه : ما هو ؟ فقال : هو الحج والعمرة [(١)] .

والمعلوم أن أكثر النحويين يستشهدون على الجملة الإستئنافية البيانية بقوله تعالى:(ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ) [(٢)]والتقدير : فماذا قال لهم ؟ قال : سلامٌ قوم منكرون . ولو رحنا نتتبع شُرَّاحَ الأحاديث لوجدنا الكثيرَ من تخريجاتهم لمروياتها وأقوالها مما يعد توسيعًا للنظام اللغوي العربي وهذا ما نريده وننشده .

---

(١) انظر شرح الطيبي ٢٣١/٥ وتعدد التوجيه النحوي ٣٧٥/١ .

(٢) الذاريات ٢٥.

`

رحـم اللهُ أمَّ المـؤمنين ورضــي عنهـا، فقـد قـلّ نظيرُهـا ونـدرَ شبيهُها بـين النسـاء ، فهـي مكتبـةٌ شـرعيةٌ لغويـةٌ زاخـرةٌ ، ومدرسـةٌ إيمانية أخلاقية فاضلة ، لا ينكر فضلَها إلا جُوَيْهلٌ حاقدٌ ولا يجحدُ مناقِبَها إلا مسعورٌ حاسدٌ . ورحم الله القائل :

ماضرَّ شمسَ الضحى في الأفقِ طالعةً ... ألاَّ يرى ضَوْءَها مَنْ ليس ذا بَصَرِ

ولله در من قال أيضًا :

دعِ الحسـودَ علـى أَسْـقَامِ باطنِـهِ ... قدْ يَسْتَلِذُّ حِكاكَ الجِلْدِ مَن جَرِبَا

تم الكتاب ولله الحمد والمنة

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

`

الخاتمة

بعد إلقائنا الضوء على المعالم اللغوية التي أثمرتها مرويات السيدة عائشة وأقوالها خلصنا إلى ما يأتي :

١- أنها شخصيةٌ علميةٌ نادرةٌ ، فهي دائرة معارف برزتْ في العلومِ الشرعية وبرعتْ في الفنونِ اللغويةِ.

٢- أثارت آثارُها من مروياتٍ وأقوالٍ حركةً علميةً نشطةً عبرَ التاريخ ، فقلَّ أن تجدَ كتابًا في التفسير واللغة والنحو والصرف والأدب ...إلخ ليس لها فيه نصيبٌ وافر متميز، لقد شاركت في صنع هذه الحركة العلمية التي أدت إلى ازدهار الحضارة الإسلامية.

٣- أن مخزونها الشعريَّ الغزيرَ كان من الشعر المتسم بالحكمةِ والداعي إلى الأخلاقِ الساميةِ الرفيعةِ ، ووظفته توظيفًا إسلاميًا داعيةً فيه إلى مكارمِ الأخلاقوفضائلِ الأعمالِ.

٤- كانت ل متمكنةً من أساليبِ اللغة ، غايةً في الفصاحة والبيان نتيجةَ مخزونِها اللغويِّ الفصيح من شعر ونثر ، الأمرُ الذي أدى إلى الرقي في أساليبها اللغويةِ المتعددةِ المقاصدِ ، المختلفةِ الأغراضِ ، وآثارها اللغوية وطرائقها التعبيرية تبدو للقارئ حسب مستواه العلمي وتخصصه ، فالمتخصص في

`

علوم البلاغة يرى في أساليبها غاية الفصاحة، والمتخصص في النحو يرى نهاية المتانة في الصياغة ، والمتخصص في اللغة والمعجمات يرى مادة علمية دلالية ثرة معطاءة،وقد علم كل أناس مشربهم ، والكل يُسقى من ماء واحد.

٥- كان ابنُ مالكٍ من أكثر النحويين الذين عرضوا لأساليبها اللغوية تعضيدًا بها قواعد نحوية ، أوموجهًا مايُظَنُّ أنه خارج عن النظام اللغوي ، فكان بذلك يُبْرزُ سعةَ النظام اللغوي العربي وشموله .

٦- أن بعضَ قراءاتها له تعلُّقٌ بجوانبَ صرفيةٍ كقراءة « فمنها ركوبتهم » وبعضُها له تعلَّقُ بمسائلَ نحويةٍ كقراءة « إن هذان لساحران » وبعضُها أفادَ في تأصيلِ وتعضيدِ مسائلَ لغويةٍ نتجَ عنها آثارٌ نحويةٌ كقراءة «لا يلقونه» بكسر اللام وضم القاف .

٧- أن هناك قراءاتٍ كثيرةً شاركها فيها غيرُها ، وصارتْ بعض القراءات فيما بعدُ من السبعة .

٨- أن بعضَ آرائها التفسيريةِ اعتمده بعضُ الفقهاء بعدَ ذلك ، كتحديدها لطعام المسكين الذي اعتمده أبو حنيفة فيما بعد .

`

٩- كانت ل رَّجاعةً إلى الحق ، بدا ذلك في إنكارها أولًا قراءةَ « عندها أَجنَّهُ المأوى »، ثم إجازتها بعد أن تبين لها الدليل والله أعلم، وهذا يدلُّ على الرقيِّ العلميِّ الذي كانت تتمتعُ به ل وأرضاها.

١٠- أن الدرسَ اللغويَّ بحاجةٍ إلى دراسات لغوية تتصلُ بعصرِ الرسولِ ق لِتضيءَ كثيرًا من الجوانب اللغوية التي تمثل ذلك العصرَ ، وتساعدَ فيما بعدُ على رصد الحركةِ اللغويةِ بدقة منذ العصر الجاهلي إلى نهايةِ عصرِ الاحتجاج .

١١- أن ما قدمناه هو قليلٌ من كثيرٍ مما تَزْخَرُ به أساليبُ السيدةِ عائشة ، ولعل واحدًا من الباحثين يقوم بدراسة مروياتها وأقوالها دراسةً متأنيةً دقيقةً لإظهارِ سِمَاتِهَا اللغويةِ وجمالياتِ تراكيبِها الراقيةِ .

`

المصادر والمراجع

- أحكام القران ، لابن العربي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، توزيع عباس الباز، مكة المكرمة .
- أخبار مكة للأزرقي ، تحقيق رشدي ملحس ،الطبعة الثامنة ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .
- الأشباه والنظائر ، للسيوطي ، تحقيق أحمد مختار الشريف ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- أمالي الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، مؤسسة العربية الحديثة، الطبعةالأولى، ١٣٨٢هـ .
- الأنوار المحمدية للشيخ يوسف النبهاني ، دار الفكر ، لبنان .
- اتحاف السادة المتقين ، للمرتضى الزبيدي ، نشر دار إحياء التراث العربي ، لبنان، ١٤١٤هـ .
- الاتقان للسيوطي ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م .
- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ، تحقيق سعيد الأفغاني،المكتب الإسلامي،الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ ١٨٧٠ م.
- إعراب الحديث النبوي ، للعكبري ، تحقيق الدكتور حسن الشاعر ، دار المنارة، الأردن.
- إعراب الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في كتاب أوضح المسالك، الدكتور رياض الخوام ، مكتبة نزار الباز ،

مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م .

- إعراب الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية في كتاب شرح قطر الندى ، للدكتور رياض الخوام ، المكتبة العصرية ، لبنان .

- إعراب القرآن ، للنحاس ، تحقيق للدكتور زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد، نشر وزارة الأوقاف العرقية .

- الإمتاع والمؤانسة ، لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، المكتبة العصرية ، بيروت .

- الإنصاف في المسائل الخلاف ، للأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٨٣م ١٤٠٣ هـ.

- بهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي تحقيق محمد مرسي الخولي دار الكتب العلمية ، لبنان .

- التذييل والتكميل ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع ، الرياض .

- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي ومشاركيه ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م .

- حاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح للأزهري (ضمن مجلد واحد) ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

- حاشية الشيخ ياسين على مجيب الندا شرح قطر الندى ، للفاكهاني (ضمن مجلد واحد)،الطبعة الثانية،البابي الحلبي، ١٣٩٠ _ ١٩٧١ م.

- حاشية الصبان على شرح الأشموني (ضمن مجلد واحد) ، مكتبة البابي الحلبي ، مصر.

- الحديث النبوي في النحو العربي ، للدكتور محمود الفجال ، نشر نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م .

- روح المعاني ، للآلوسي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢ هـ ١٩٨٢ م .

- شذرات الذهب ، لابن العماد ، تحقيق مصطفى عبد القادر العطا ، توزيع عباس الباز ، مكة المكرمة .

- شرح التسهيل ، لابن مالك ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ١٩٩٠ م ، مصر .

- شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، تحقيق المفتي عبد الغفار وزملائه، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
- شرح المفصل ، لابن يعيش ، علم الكتب ، بيروت .
- شواهد التوضيح ، لابن مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- الصحاح للجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، هـ ١٣٩٩- ١٩٧٩م .
- الصحيح والضعيف في اللغة العربية ، للدكتور محمود الفجال ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، شرح إبراهيم الأبياري ، تقديم الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي .
- العمدة ، لابن رشيق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
- عمدة القاري ، للعيني ، دار الفكر ، نسخة مصورة عن الطبعة السلفية .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني،عناية

الشيخ عبد العزيز بن باز . ومحمد فؤاد عبد الباقي ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .

- فقه اللغة،للثعالبي،تحقيق مصطفى السقا وزملائه،الطبعة الأخيرة،١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
- القاموس المحيط،للفيروزآبادي،الطبعة الثانية،البابي الحلبي،مصر ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.
- الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- كتاب الأمثال لأبي عبيد ، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، دار المأمون ، دمشق .
- الكشف عن وجوه القراءات ، لمكي ، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م .
- الكشاف ، للزمخشري ، عناية خليل مأمون شيحة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- الكامل ، للمبرد ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبد الله علي الكبير وزملائه ، دار المعارف ، مصر.

- مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف في مصر.
- المحتسب لابن جني ، تحقيق على النجدي ناصف وعبد الفتاح الشلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩ م .
- المحرر الوجيز ، لابن عطية ، تحقيق الرحالي الفاروق وزملائه ، طبع مؤسسة دار العلوم ، الدوحة قطر ، إدارة الشؤون الإسلامية .
- المستطرف ، للأبشيهي،تحقيق درويش الجويدي،المكتبة العصرية،لبنان .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزملائه ، مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .
- مشكل إعراب القرآن ، لمكي ، تحقيق ياسين محمد السواس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م .
- المصباح المنير للفيومي ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة .
- معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق احمد يوسف نجاتي وزملائه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- معاني القرآن ، للنحاس ، تحقيق الشيخ محمد الصابوني ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م.
- معجم البلدان ، للحموي ، دار بيروت ودار صادر للطباعة

والنشر ١٣٧٦هـ -١٩٥٧ م .
- المعيار في التخطئة والتصويب ،للدكتور عبد الفتاح سليم ،دار المعارف،الطبعة الأولى ،١٤١١هـ
- منال الطالب ، لابن الأثير ، تحقيق الدكتور محمود الطناحي ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م .
- المغني لابن هشام الأنصاري ، تحقيق الدكتور مازن المبارك وزميله ، الطبعة الخامسة دار الفكر بيروت ، ١٩٧٩م .
- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف ، للدكتورة خديجة الحديثي ، وزارة الثقافة العراقية ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ م .
- النحو الوافي لعباس حسن ، دار المعارف ، ١٩٧٩م .

الرسائل الجامعية والدوريات

- تعدد التوجيه النحوي والصرفي في شرح الطيب على مشكاة المصابيح، الطالب علي سنوسي أحمد ، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ، ١٤٢٨هـ ١٤٢٩هـ .
- اللآلئ المنثورة في شرح المقصورة ، لابن حازم الشافعي ، تحقيق سعيد آل يزيد القرني وعلي السرحاني ، جامعة أم القرى،كلية اللغة العربية .
- مجلة نادي مكة الثقافي (مكة الثقافية) العدد ـ١٤ـ ١٤٣١ هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

`